ISSN 2307-7662

جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

قراءات في تاريخ العصور الوسطى

مصطلح "العصور الوسطى" ظهوره و دلالته في أوروبا و إنتقاله إلى الكتابة التاريخية العربية مع ترجمة لبحث "العصور الوسطى" للمؤرخ الفرنسي آلان بورو

د/محمد محمد ناصر الحداد

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد قسم التاريخ كلية التربية و الألسن
– جامعة عمران

AUTHORIZED BY AL-NASSER UNIVERSITY'S RESEARCH OFFICE
جميع حقوق النشر محفوظة لمكتب البحوث والنشر بجامعة الناصر

قراءات في تاريخ العصور الوسطى

مصطلح "العصور الوسطى" ظهوره و دلالته في أوروبا و إنتقاله إلى الكتابة التاريخية العربية مع ترجمة لبحث "العصور الوسطى" للمؤرخ الفرنسي آلان بورو

د/ محمد محمد ناصر الحداد
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد -قسم التاريخ
كلية التربية و الألسن – جامعة عمران

الملخص

11

تتعدد الآراء في موضوع تقسيم التاريخ إلى حقب مختلفة , فكل فريق من المؤرخين و المحللين له مبرراته و مرجعياته التي يبني عليها ذلك التقسيم و التي تتناسب في كثير من الأحيان مع تاريخه و تعد جزءا من تكوينه و هويته , و كما تعددت الآراء في موضوع التحقيب عامة فقد كثرت فيما يخص تعريف و تحديد حقبة العصور الوسطى أو المتوسطة خاصة عند الحديث عن هذه الفترة من تاريخ أوروبا. و مما لا شك فيه أن ظهور فكرة التقسيم التاريخي قد سبقت ظهور المصطلحات التي تشير إلى الحقب المعينة المتفق عليها بين المؤرخين و المؤسسات التعليمية. و إننا نحاول -في هذا البحث - تتبع تاريخ ظهور التقسيم التاريخي خصوصا في الكتابات الغربية و ما تلاه من ظهور مصطلحات تحمل دلالات دقيقة تشير كل منها إلى فترة دون غيرها. إن بوادر التقسيم التاريخي البسيطة قد ظهرت في الكتابات الغربية منذ القرن الثالث عشر الميلادي – مستمدا فكرته من رؤى تعود إلى القرن الثامن الميلادي - و ذلك إعتمادا على التاريخ الديني او الكنسي و الذي اعتمد كمرجعية في فكرة التقسيم لدى هؤلاء الغربيين. و عليه فإن مصطلح "العصور الوسطى" الدال على فترة من التاريخ الغربي قد ظهر في أوروبا قبل أن يظهر في الأدب التاريخي العربي, حيث ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي كأول من إستعمل هذا المصطلح عام 1469م و في نفس الوقت هناك من يرى أن فلافيو بوندي دو فورلي قد إستعمله عام 1450م , لكن ذلك لم يكن سوى البداية لظهور فكرة العصور الوسطى كفترة متميزة عن التاريخ القديم و بدايات المولد الجديد لأوروبا. و قد توجب على هذا المصطلح الإنتظار حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حتي يصبح متداولا و متعارفا عليه في أوساط المؤسسات التعليمية الأوروبية و قد إنتقل سريعا إلى الكتابة العربية بفضل التراجم. كما اننا قمنا بترجمة لبحث على درجة كبيرة من الأهمية هو بحث العصور الوسطى للمؤرخ الفرنسي آلان بورو و الذي امدنا بالكثير من المعلومات لهذا البحث و الذي افردنا له جزءا خاصا في هذا العمل.

المقدمة :

الحمد لله والصلاة و السلام على خير خلق الله – محمد بن عبدالله – الصادق الأمين , الذي بعثه الله معلما و رحمة للعالمين و على آله و صحبه أجمعين. و بعـــــــــــــــد :

فإنه و بعد ما يقرب من سبع سنوات من العمل كمحاضر ألقيت خلالها العديد من المحاضرات في مختلف الأقسام و في مختلف الجامعات اليمنية لا سيما أقسام التاريخ و في مختلف المواد التاريخية (تاريخ أوروبا في العصور الوسطى, تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب, تاريخ الإمبراطورية البيزنطية , تاريخ الأيوبيين و المماليك , تاريخ العرب الحديث, تاريخ العرب المعاصر, تاريخ اليمن الحديث, تاريخ المغرب و الأندلس, التاريخ و الحضارة الاوروبية, اللغة الفرنسية و الترجمة...) فقد أدركت أن طلابنا الأعزاء بحاجة إلى من يوجه تفكيرهم التاريخي و قدراتهم كمؤرخين جديرين بأن يكونوا محللين أيضا. فالكثير من هؤلاء الطلاب لا يستطيع أن يكون جملة صحيحة توحي بأن قائلها طالب جامعي أو حتى مثقف متواضع فضلا عن أن يستخدم هؤلاء الطلاب تفكيرهم في تحليل حدث تاريخي معين. و لكم كنت مستغربا كلما طرحت سؤالا حول معنى التاريخ و التقسيم التاريخي و دلالاته و أسبابه و أهدافه و دلالة العصور الوسطى كغيرها من الحقب التاريخية على طلاب السنة الثالثة والرابعة و لا أجد جوابا شافيا أو على الأقل جوابا يعكس نظرة أو ثقافة تاريخية. فمعظم الإجابات لا تتعدى بعض الكلمات العقيمة التي لا تحمل أي معنى و من هذه الإجابات التي حصلت عليها من بعض من يفترض أن يكونوا من مؤرخي المستقبل أن ,,التاريخ,, هو ,,التاريخ,, أو أن التاريخ يعني الأحداث التي مرت فقط. أما فيما يتعلق بالتقسيم التاريخي فإن الكثير من الجامعيين يشير إلى أن ,, التاريخ ينقسم إلى تاريخ قديم و معاصر,, , علما أن قائل هذه الإجابة يجهل أسباب ومبررات و دواعي هذا التقسيم و كذلك حدوده الزمنية والجغرافية المفترضة في نظر المؤرخين , كما أن هؤلاء الطلاب يجهلون و جود فترة وسيطة و فترة حديثة يمكن دراستهما كحقب مستقلة عن غيرهما. هذا و لم يقف الحد عند الإستغراب بل تعداه إلى الحزن عندما فاجأني بعض هؤلاء الطلاب بالقول إن " المغرب يقع في قارة آسيا حيث يحده مصر من الشمال و الجنوب و اليمن من الشرق , أما من الغرب فالله أعلم و من الشرق مصر و يضيف هؤلاء أن الاتحاد المغاربي يتكون من الاندلس و موريتانيا الملكية و تونس و المغرب الفيدرالية". و قد تحول الحزن إلى أسى حين يتحدث هؤلاء الطلاب بجهل تام لأبسط قواعد اللغة العربية , تلك اللغة التي استوعبت كل العلوم في مرحلة ما من التاريخ لا سيما خلال ما يعرف بالتاريخ الوسيط و الذي يصادف تاريخ صدر الإسلام و على وجه الخصوص ابتداء من عصر الخلافة العباسية و ما بعده حينما كانت أوروبا تغط في ظلام و جهل دامس, حينها كان ملوك أوروبا لا سيما ملوك أسبانيا يتسابقون إلى تعلم اللغة العربية و الحديث بها , حيث أصبحت اللغة العربية لديهم ما يشبه المؤهل لتولي العروش أو على الأقل إحدى النقاط المهمة في السيرة الذاتية للأمراء و الملوك , كما أن العالم الإسلامي بمراكزه العلمية و جامعاته كان محطة ينهل

منها الطلاب القادمون من أصقاع أوروبا المعرفة في مختلف المجالات و يترجم علماء أوروبا المؤلفات التي حولت أوروبا إلى دور الريادة فيما بعد و التي كان للعرب و المسلمين السبق في وضع أسسها كالطب و الفلسفة والفلك و الرياضيات و غيرها. و تجدر الإشارة هنا إلى أن اللغة العربية قد " انتشرت في الأندلس منذ استقرار العرب في شبه الجزيرة الأيبيرية. وكان السكان الأصليون قد اتخذوا لغة القرآن للتفاهم والتعامل فيما بينهم، بل فضلها بعضهم على لغته الأصلية. لقد قام هؤلاء المستعربة الذين كانوا يتقنون لغة العرب، بدور الوسيط في نقل الكثير من بذور الحضارة العربية الإسلامية إلى الممالك الشمالية"[1]. "وكانوا يتنقلون بين الأندلس والمناطق الشمالية المسيحية"[2]. "كما كان بعضهم ينظم الشعر باللغة العربية"[3]. "ولم تنحصر اللغة العربية في المناطق الأندلسية ذات السيادة الإسلامية، بل انتشرت كذلك في ليون (Léon) وقشتالة (Castilla) ونفارا (Navarra) وغيرها من المناطق الإسبانية، وتحدث بها النصارى"[4].

أما الأمر الثاني الذي دعاني لإعداد هذا البحث فمتعلق بالمثقفين لا سيما الذين يكتفون بظاهر النصوص و لا يحللون ما وراءها من ظرفيات و مؤثرات و نتائج. وهؤلاء هم أنفسهم من يهتم بدراسة التاريخ السياسي و الأحداث فقط دون الوقوف عند هذه الأحداث و تحليلها و الوقوف على المداس التاريخية التي تدرس الأحداث و تحللها , و أعني بذلك أنهم يسلسلون الأحداث و الوقائع و تناسوا منطق ابن الأثير و منهجه في كتابة التاريخ العالمي في كتابه المسمى الكامل في التاريخ و الذي نهج فيه أسلوب النقد و التحليل و التدقيق و الإلمام بمختلف الروايات و إيرادها جميعا في كثير من الأحيان تاركا للقارئ مهمة الأخذ بأي منها , كما تناسوا تعريف إبن خلدون للتاريخ عن أنه رصد و تحليل , إشارة إلى ضرورة فهم الحدث و ضرورة وضعه تحت المنطق الإنساني, لفهم الحقائق و استبعاد ما يتنافى مع المنطق و الحقيقة , يقول إبن خلدون و اصفا فن التاريخ : (إذ هو في **ظاهره** لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، و**في باطنه** نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق. وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها. وأدوها إلينا

---

[1] H.- R. Gibb: Literature, in The Legacy of Islam, Oxford University Press 1965, p. 188.

[2] أحمد هيكل: دراسات أدبية، دار المعارف، القاهرة 1980، ص 63.

[3] أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة 1955، ص 486 – 487.

[4] S.- M. Imamuddine: Some Aspects of Socio – Economic and Cultural History of Muslim Spain, Leiden 1965, p. 187.
أنظر: محمد عباسة, العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة, مجلة العلوم الإنسانية, العدد 14, سنة 2000, جامعة منتوري , قسنطينة, الجزائر.

كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض وطويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل. والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلو لها صفحات الصواب و يصقل)[1]. و إنني هنا أريد أن أسجل أنني مع نظرة العالم الجليل إبن خلدون للتاريخ وأعني بذلك أنني كمؤرخ لا أهتم كثيرا بطرح سؤال عن متى كان الحدث الفلاني بقدر ما يهمني معرفة الأسباب التي تقف وراء هذا الحدث و طبيعته و نتائجه و الظرفية التاريخية لحدوثه و ما ورد فيه من آراء و ما يمكن أن يكون حقيقة و ما هو مضاف أو مزيف. و هنا لا بد أن أسجل أن المؤرخ و حسب قناعتي الشخصية هو أيضا صحفي و رجل سياسة و محلل و ناقد و مفكر و جغرافي و إعلامي ... إلخ. و كم كنت أتمنى أن نؤسس أقساما في جامعاتنا العربية لدراسة النصوص و تواريخها و تحليلها على غرار ما هو موجود في أوروبا و المساهمة في إبراز آراء المدرسة أو المدارس التاريخية العربية في دراسة مختلف الظواهر التاريخية . و من ضمن هذه المراكز الرائعة في أوروبا المعهد الوطني لدراسة تاريخ النصوص في باريس و هو المعهد الذي كان له الكثير من الفضل في مساعدتي في جمع مادة هذا البحث و الذي لم توصد أبوابه أمامي قط و لا امام كل الباحثين كلما واتتني الفرصة لأكون في باريس . كما اتمنى أن يتمكن المؤرخون و المهتمون بعقد الندوات و اللقاءات التاريخية لمتابعة ما هو مستجد من أبحاث و لتبادل الأفكار التي ستساعد في إثراء المدرسة التاريخية العربية المعاصرة.

يتناول هذا البحث مجالا تندر فيه الكتابة العربية و هو مجال التحليل و التأريخ للمصطلحات. و مما لا شك فيه أن دراسة ما يعرف بعلم المصطلحات La terminologie لا تيرمينولوجي هو شيء في غاية الأهمية , وبقدر هذه الأهمية تكمن الخطورة حيث إن الدارس لهذا العلم قد يدخل في متاهاتٍ جمةٍ و يقابل الكثير من التعقيدات و المفاجئات مما يفقده الفكرة و الهدف الاساسي لأي دراسة يقوم بها . فما يعرف بعلم المصطلحات هو علم يخدم العلوم الأخرى و ليس غاية في حد ذاته . و إنني هنا بصدد الخوض في هذا المجال و لكن في حدود معروفة و على طريق أرى نهايته قبل ان أبدأه, و أعني بذلك أنني سأتناول في هذه الدراسة مصطلحاً واحدا بهدف معرفة بدايات ظهوره في الأدبيات التاريخية العربية . إن هذا المصطلح هو مصطلح " العصور الوسطى" أو ما يعرف في اللغة الفرنسية

لو موين آج Le Moyen Âge

[1] إبن خلدون , العبر و ديون المبتدأ و الخبر, بيروت, دار الكتاب اللبناني, 1982, 1, ص1.

و في اللغة الإنجليزية The Middel Ages ذا ميدل آيجز وهو مصطلح يشير في كثير من الأحيان إلى حقبة من التاريخ الأوروبي على وجه الخصوص كما يرى بعض المؤرخين و هو ما لا نتفق معه , حيث سنناقش هذه الرؤية لاحقا في هذا البحث الذي سنقسمه إلى أربعة محاور :

- المحور الأول : آراء في تقسيم التاريخ إلى حقب تاريخية مختلفة
- المحور الثاني : آراء في تعريف العصور الوسطى
- المحور الثاني : ترجمة بحث العصور الوسطى للمؤرخ الفرنسي آلان بورو
- المحور الثالث : ظهور مصطلح العصور الوسطى في أوروبا و إنتقاله إلى الكتابة التاريخية العربية

و تكمن أهمية هذا البحث في كونه -كما أحسب - من أوائل الأبحات التي تسعى لدراسة ظهور تسمية "العصور الوسطى" في الأدب التاريخي العربي. أما منهجية بحثنا فهي تقوم على أساس طرح كل المعطيات و تحليلها مع الإشارة إلى ما نميل إليه من أفكار دون إلزام القارئ بالتوقف عند ما نراه بل نترك له ترجيح ما يمكن ان يستخلصه بنفسه. فالهدف الأساسي هو محاولة تحريك الركود الفكري لدى أبنائنا الطلاب على وجه الخصوص .

◆المحور الأول : : آراء في تقسيم التاريخ إلى حقب تاريخية مختلفة:

لا شك أن علم التاريخ هو من أجل العلوم و أعظمها , و هو العلم الذي حاز على اهتمام الكثير من العلماء و المفكرين في مختلف الحضارات و الأمم. و من الجدير بالذكر أن علماء و مؤرخي المسلمين حين يتحدثون عن التاريخ يصفونه بالفن و العلم الجليل[1]. فعلم التاريخ هو العلم الجليل الذي يُعنى فيه المؤرخون بدراسة الماضي الإنساني و يدرسون الحوادث الماضية و الوثائق و يبحثون و يحللون كل ما ترك القدماء من آثار. و من تلك الآثار بالإضافة إلى الوثائق و الكتب نورد التقاليد والقصص الشعبية و الأعمال الفنية و المخلفات الاثرية و المدونات الاخرى بمختلف اشكالها و ذلك بهدف المعرفة و من ثم إعداد وثائق جديدة تسمى أيضًا، تاريخًا. كما أن المؤرخين يدرسون كافة مظاهر الحياة الإنسانية الماضية، الاجتماعية والثقافية، تمامًا مثل الحوادث السياسية والاقتصادية. كما يدرس بعض المؤرخين الماضي بهدف الوصول لفهم آلية تفكير وعمل الناس في الأزمنة المختلفة على نحو أفضل ، بينما يبحث الآخرون عن العبَر المستفادة من تلك الأعمال والأفكار، لتكون موجهًا للقرارات والسياسات المعاصرة. و من البديهي القول إن المؤرخين يختلفون فيما بينهم في الرأي حول عبَر التاريخ و الدروس المستفادة منه كل حسب قناعاته و أولوياته المبنية على إنتماء عقائدي أو سياسي أو فكري ...الخ. وهكذا، فإن هناك العديد من التفسيرات

[1] أنظر : القلقشندي, صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, القاهرة, المطبعة العامرية, 1913, ص .
- ابن خلدون, مصدر سابق , 1, ص 1.
- إبن الأثير , الكامل في التاريخ, بيروت, دار بيروت للطباعة و النشر, 1982, ص 1.

المختلفة للماضي. كما أن المؤرخين و خلال القرون الماضية قد اهتموا في المقام الأول بالأحداث السياسية، وكانت كتاباتهم مقصورة على الدبلوماسية والحروب، وشؤون الدولة و ملوكها و قصورها , حيث رتبوا هذا الأحداث و أوردوها حسب السنين. أما الآن ولا سيما منذ بدايات القرن العشرين، فقد وجه المؤرخون إهتماماتهم نحو العديد من الموضوعات الأخرى، فينظر بعضهم في الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية و يتقصى أخرون تطور الحضارات و الفنون أو العناصر الأخرى للحضارات , أما البعض الآخر فقد اتجه نحو النصوص و انشغل بتحليلها و التأريخ لها محللا نصوصها و مفرداتها و أوراقها .. إلخ. إننا عند ما نتحدث عن تقسيم التاريخ أو تحقيب التاريخ فيجب أن يكون ذلك الحديث مبنيا على المنطق في التفكير، و نعني بذلك أنه يتوجب علينا عند التقسيم أو التحقيب مراعاة الأحداث المهمة التي أدت إلى تحولات هامة في التاريخ الإنساني، وقادت إلى أحداث مفصلية جعلت الإنسان يتحول من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن نمط حياة إلى نمط أكثر تطوراً أو على ألأقل مختلف إذا قارناه بما قبله , لكننا يجب ألا ننسى أنه لا يمكن فصل أحداث التاريخ التي تسير كالنهر الجار و إنما يجب أن نفهم العلاقات بينها حتى و إن درسناها و تخصصنا فيها كلا على حده.

و بطبيعة الحال فإن هذا التحقيب هو شيء مهم جدا يساعد المؤرخ في فهم الأحداث في حياة البشرية التي تشبه حياة الفرد. حيث إن الفرد يجعل له محطات بارزة في حياته كزواجه أو ارتزاقه بأول مولود أو موت أحد و الديه و هكذا فيؤرخ لحدث ما بالرجوع إلى هذه العلامات البارزة و يعتبر مرحلة ما قبل زواجه متميزة عما بعد و كذلك مرحلة تحوله إلى أب تختلف عن غيرها من مراحل حياته و هكذا . والقصد هنا ليس فصل هذه الفترات و إنما تحديد ما تمتاز به فيما بينها. و تجدر الإشارة إلى أن فلاسفة التاريخ وكتّابه – لا سيما من الأوروبيين او المهتمين بتاريخ أوروبا – قد دأبوا على تقسيم التاريخ في الغالب إلى أربع حقب تاريخية هي كما يلي : – التاريخ القديم – التاريخ الوسيط – التاريخ الحديث – التاريخ المعاصر.

ونعود لنؤكد هنا أن هذا التقسيم التاريخي كما في العلوم الإنسانية ليس تقسيما واقعيا يضع الحدود و الفواصل التي لا يمكن التنازل عنها بين الحقب التاريخية التي توجب فصل كل مرحلة عما قبلها و عما بعدها , فهذا التقسيم هو تقسيم افتراضي خاضع للرأي و المناقشة . و من الطبيعي أن تضع كل أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات لهذه الفترات حدودا زمنية بحيث تتنامط وتتناسق مع هويتها و مع الأحداث المهمة والفاصلة في المسيرة التاريخية الخاصة بها , و نعني بذلك أن ما يحدد التقسيم التاريخي ليس عدد الفترات و إنما تلك الأحداث المعتمدة لدى كل أمة و حضارة بعينها . وقد وضع مؤرخو أوروبا هذا التقسيم انطلاقاً من طبيعة تاريخهم التي ناسبها هذا التقسيم، وقد سيطرت هذه الرؤية على تقسيم التاريخ في مختلف حضارات العالم أيضاً ، مع العلم أن الحضارات الأخرى حاولت التوفيق و المقاربة بين هذه النظرية الأوروبية في تقسيم التاريخ و بين الأحداث الهامة و المفصلية في تاريخها .

و من هذا المنطلق نقول إن من الجدير بالمؤرخ و المحلل و الناقد أن يطرح سؤالا حول وجوب أو إمكانية القبول بهذه النظرية أو محاولة توحيدها أو الوقوف في حدود مرجعياتها في التحقيب التاريخي كإطار لتقسيم تاريخ العالم , و ذلك من منطلق أن تاريخ أي أمة أو حضارة هو جزء من تاريخ البشرية أو من التاريخ لعالمي و أن أي تقسيم لتاريخ أمة بعينها يسري أو لا يسري على بقية الأمم, و هو أمر يتفق و يختلف عليه الكثير من المؤرخين. و نعني بذلك أنه و على الرغم من شيوع هذه النظرية في تقسيم تاريخ البشرية لتاريخ قديم ثم وسيط فحديث فمعاصر , إلا أنها تدخل ضمن آراء أخرى و نظريات تخضع للنقاش و الموافقة و المعارضة ليس من الضروري ان يكون حول الحقب في حد ذاتها فقط و إنما يتعدى ذلك ليكون فيما يجب أو ما يمكن إعتماده من أحداث هامة كأساس لهذا التقسيم. و نعني بذلك أننا لو طرحنا سؤالا بين المؤرخين حول تقسيم التاريخ إلى حقب تاريخية و ما يمكن أن نعتمده من أحداث في هذا التقسيم فإننا و دون شك لن نحصل على إجابة واحدة بل إن إي مؤرخ سيبرر إجابته برأي ما أو بحدث يعد جزأ من هويته. و من تلك الإجابات من يرى أن التقسيم الواقعي للتاريخ يكون بتقسيمه فقط إلى فترتين هما ما قبل التاريخ[1] و ما بعد التاريخ[2] , مبررا هذه الرؤية باختراع الكتابة كأحد أهم الأسس التي حولت حياة الإنسان في كل المجالات ووفرت له ذاكرة لم يستغن عنها عبر العصور, لتكون الكتابة محورا فاصلا بين مرحلتين دون سواهما و لا ثالث لهما[3].

في حين يرى آخرون أن التاريخ ينقسم إلى أربعة عصور هي :

- عصر ما قبل الميلاد (ميلاد المسيح عليه السلام).
- العصر النصراني (ظهور المسيح عليه السلام - 622م).
- العصر الإسلامي (622م – 1769م).
- عصر الآلة (1769م – نهاية الحياة على الكرة الأرضية).

و لا شك في أن اصحاب هذا الرأي لهم ايضا ما يبرر رأيهم في أن لكل مرحلة الكثير من الاسس التي لا يمكن تجاهلها في حياة الحضارة التي ينتمون اليها أو الإنسانية عموما. فحقبة ما قبل المسيح هي فترة طويلة جداً تمتد من بداية الخلق حتى ظهور المسيح عليه السلام، والسبب في عدم تقسيم هذه الفترة الطويلة حسب أصحاب هذا الرأي هو تراكم الأحداث فيها أولاً، ثم وصول الأحداث دون تفصيل، ناهيك عن الكثير من الانقطاعات في خضم الأحداث، ثم ما يلفها من غموض يجعل من الصعب الوصول إلى تحليل و تفسير و نتائج منطقية. أما الحقبة النصرانية فتمتد من ظهور المسيح عليه السلام (المؤرخ له بـ 1 م)، و حتى العام 622م، وهو ظهور الإسلام و هجرة المصطفى -صلى الله عليه و سلم -، والسبب في اختيار النصرانية

[1] تبتدئ عصور ماقبل التاريخ بظهور الإنسان، و تنتهي باختراع الكتابة و يمكن تقسيمه إلى : العصر الحجري القديم و العصر الحجري الحديث و عصر المعادن.
[2] تبتدئ عصور التاريخ باختراع الكتابة و تنتهي بوقتنا الحاضر.

لتسمية هذه الفترة هو أنها كانت ذات تغيير مفصلي في تاريخ العالم، فانتشارها كان انتشاراً سريعا جاب مختلف جهات العالم، حيث نجحت الحملات التبشيرية في نشر الديانة , حتى أصبح من يعتنقها في عصرنا الحاضر يزيد عن ملياري إنسان، ومن هنا أصبحت ذات تأثير مباشر في سياق حياة العالم، فاستحقت بحسب أصحاب هذا الرأي أن يكون لها قسم خاص بها في تحقيب التاريخ العالمي. و هو نفس المنطق فيما يخص الحقبة التي تليها و التي يرى أصحاب هذا الرأي أن أهميتها لا تقل عما قبلها. فالإسلام قد وصل إلى كل أنحاء العالم شرقا و غربا كما أنه قد غير وجه العالم خصوصا حين استوعب أعظم امبراطوريتين في العالم (الفارسية و الرومانية) ووصل إلى أقصى بلاد الهند و السند , و إلى قلب فرنسا. كما أن العلماء المسلمين قد و ضعوا الأسس لمختلف العلوم التي خدمت الإنسانية. كل هذه المبررات هي المرتكز الذي يبني عليه هؤلاء رأيهم في وضع حقبة من تاريخ البشرية تحت مسمى الحقبة الإسلامية. كما يرى أصحاب هذا الرأي أن أهم مرتكز لتسمية حقبة جديدة تلي الحقبة السابقة هو ابتكار الآلة عام 1769م، حينها اخترع جيمس وات المحرك البخاري، مؤذناً باستعمال الإنسان للآلة، والتي بدأت تتعدد أشكالها وطرازاتها فيما بعد، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان، وما زال عصر الآلة مستمراً حتى الآن ، بل وسيستمر هذا العصر إلى نهاية حياة البشرية نظرا لازدياد ارتباط الآلة بالانسان و حياته يوما بعد يوم, و هناك من يرى أن عصر الآلة يمكن أن يعرف أيضا في و قتنا الحاضر بعصر الاقتصاد و الاستهلاك معتمدا في ذلك على التعاملات الاقتصادية و اهميتها و مدي سيطرتها على رسم مجرى التاريخ المعاصر و أحداثة و علاقات الأمم ببعضها و التي تضع الإقتصاد كأهم عامل في التعامل البشري. و على الرغم من تنوع المرجعيات لدى أصحاب هذا الرأي بين دينية و اقتصادية, إلا أنها تمثل علامات بارزة في حياة البشرية, حسب ما يرون و بالتالي لا نستطيع أن ننكر أهميتها مما يجعلنا نسلم بجزء منها.

أما الفريق الآخر فيرى أن أي تقسيم للتاريخ يجب أن يكون على أساس الشعوب التي تتمتع بهويات مختلفة و متميزة تميز أيضا تاريخها وحضارتها و بالتالي فتاريخ العرب يختلف و يتميز عن تاريخ الهنود الذي بدوره لا يشبه تاريخ الصينيين , والأوروبيين أو البريطانيين، و الفرنسيين وهكذا. حيث لا يرى هذا الفريق أى جدوى في تقسيم تاريخ الأمم إلى حقب تاريخية, و إنما تكون الجدوى في دراسة تاريخ كل أمة على حدة, و هو ما نخالفه الرأي نظرا لكون العلاقات بين الشعوب عبر العصور المختلفة هو أمر مسلم به و بالتالي فدراسة التاريخ يجب أن تأخذ في الاعتبارعلاقات الشرق بالغرب و الشمال و بالجنوب و هكذا أما الفريق الذي يليه فيرى مرتكزا آخرا لتحقيب التاريخ, هذا التحقيب يقوم على تقسيم التاريخ حسب الموضوعات المدروسة ،حيث يرى المؤرخون هنا أن التعامل مع مظاهر خاصة من النشاط البشري في العصور الماضية هو ما يجب أن يحدد أى تحقيب أو تقسيم، فقد يدرس العديد من المؤرخين الاقتصاد والاجتماع والتاريخ الفكري، بالإضافة إلى دراسة التاريخ السياسي التقليدي. ويركّز بعض المؤرخين على مواضيع متخصصة مثل تاريخ العلم، تاريخ

الطب , تاريخ الفلسفة , و تاريخ الهندسة أو تاريخ مجموعة عرقية، أو تاريخ مدينة بعينها [1], و هي نظرية لا تقل أهمية عن غيرها من الآراء.

و بعد عرض هذه الآراء و النظريات في التقسيم التاريخي فإننا كمؤرخين لا نرى ضيرا في أن نأخذ بها مجتمعة لنفهم فلسفة التحليل التاريخي و نعطي كل حدث من عمر البشرية ما يستحقه, فكل حدث و كل جانب من الحضارة يحمل من الأهمية ما لا يحمله غيره و بالتالي نرى في هذه الآراء قاعدة و محطات تشبه محطات القطار التي تساعد المؤرخ في التزود بالوقود و المؤن كلما توقف في محطة لينطلق مجددا في دراساته شريطة أن يسلك طريقا يستطيع أن يقطعه و يصل إلى مبتغاه و نعني بذلك استحالة أن يسلك المؤرخ كل الطرقات التاريخية المتشعبة و ضرورة التخصص في مجال أو حقبة أو أمة بعينها. كما أن التقسيم أو التحقيب لا يعدو ان يكون نظريات تهدف إلى تسهيل التخصص في مرحلة أو مسار دون غيره , فلولا هذا التقسيم لصعب على المؤرخ الإلمام التام بتاريخ البشرية و أحداثه و فهمها و تحليلها كما هو حاصل اليوم بفضل الاقسام و التخصصات الدقيقة في علم و فن التاريخ الجليل. كما أننا نستخلص أن ما يحدد أختلاف المؤرخين و إتفاقهم هي الأحداث و المرجعيات التي يعتمدون عليها في هذا التقسيم التاريخي و ليس عدد الفترات المراد وضعها.

❖ - **المحور الثاني : آراء في تعريف العصور الوسطى :**

قد يقول القارئ إن من المنهجية التي قد يمليها التسلسل المنطقي للأفكار أن نقوم بدراسة ظهور مصطلح " العصور الوسطى" في الكتابة العربية قبل أن نقوم بتحليل دلالته و معناه , إلا أننا رأينا أن من المفيد أن نقوم أولا بدراسة مدلول هذا المصطلح و خصوصا فيما يخص التاريخ الأوروبي , و ذلك نظرا لكثرة الآراء و اختلافها , بالإضافة إلى أن هذا الجزء من البحث يأخذ حيزا كبيرا منه , كما أننا ندرك أنه و بعد معرفة الآراء حول التقسيم التاريخي إلى حقب مختلفة (قديمة , وسيطة, حديثة و معاصرة) و اختلاف الآراء فيما يعتمده المؤرخون في نظرياتهم و مبررات ذلك التقسيم و أسبابه و فوائده سيكون هذا المحور الذي يناقش دلالة المصطلح بمثابة المقدمة أو المدخل للقارئ لتأتي بعد ذلك الخطوة التالية و هي مناقشة ظهور المصطلح في أوروبا قبل أن ينتقل إلى الكتابة العربية, و بذلك تكتمل الصورة من وجهة نظرنا و هو الأمر الذي شعرنا به بعد قراءة مجموعة هذه المحاور لأكثر من مرة .

إن من الأهمية بمكان أن نشير مرة أخرى إلى أن المقصود من الدراسة في هذا البحث إجمالا و في هذا الجزء على وجه الخصوص هو مصطلح " العصور الوسطى" الأوروبية. كما تجدر الإشارة إلى أن الآراء قد تعددت و تشعبت في تعريف هذه الحقبة التاريخية كما تعددت في تعريف و تحديد غيرها من الفترات التاريخية , سواء

[1] برز هذا النوع من الكتابة بشكل ملفت للنظر في التأريخ الإسلامي حيث انصرف العديد من المؤرخين العرب الإسلاميين لوضع تواريخ خاصة بالعديد من المدن مثل: تاريخ مكة المكرمة، دمشق، بغداد، القاهرة ... الخ.

من حيث امتدادها الزمني أو من حيث الأحداث التي اعتمد عليها المؤرخون للتأريخ لبدايتها و نهايتها وكذلك من حيث الدلالة الجغرافية لها , بل يجب التذكير أن المؤرخين قد اختلفوا على مبدأ تقسيم التاريخ الى حقب مميزة عن بعضها البعض , ففي الوقت الذي يرى فيه البعض أن تقسيم التاريخ إلى حقب مختلفة هو أمر لا يعدو – من ناحية – أن يكون تعسفيا و من ناحية أخرى فهو يعد وسيلة ممتازة للحفظ والتذكر[1] , يرى آخرون أن هذا التقسيم ممكن ولكن على أساس أنه لا يمكن اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر و يرى في ذلك نوعا من المبالغة التاريخية[2]. وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين إلا أن الأغلب يأخذ بهذا التقسيم كوسيلة لتسهيل التخصصات و المنهجيات , ولا يرى ضيرا في ذلك و نحن من هؤلاء .

و كما يتضح هذا الاختلاف بين المؤرخين حول مبدأ التقسيم من أساسه يتضح – كذلك – هذا الاختلاف جليا فيما يخص العصور الوسطى : تعريفها , امتدادها, دلالتها الجغرافية و الزمنية ...الخ , كما أسلفنا, فهناك من يعرف العصور الوسطى على أنها " الفترة الممتدة بين العصور القديمة التي يرى المؤرخون أن أغلب ظواهرها و معظم معالمها انتهت عند قريب من نهاية القرن الرابع الميلادي , و برزت ظواهر أخرى واشتدت و غلبت على الناس و الزمان حتى أصبحت طابعا و اضحا لهما , و لها صفاتها و مميزاتها التي أجمع المؤرخون على تسميتها باسم ,, العصور الوسطى,, . و ظلت تلك الظواهر و المميزات حية قوية ما لا يقل عن عشرة قرون إلى أن انبثقت أحوال أخرى في فكر الناس و طريقة عيشهم و أسلوب تصرفاتهم في الحياة ومعالجاتهم لشؤن الفنون و الأدب و التجارة و الاقتصاد و المعايش و الاجتماع , بحيث أصبح واضحا ظهور عصر جديد في تاريخ الإنسانية , عصر ثقافة و حضارة من نوع جديد هو الذي اصطلح الناس على تسميته باسم عصر النهضة "[3], و على هذا الأساس و اعتمادا على هذا الرأي فإن العصور الوسطى الأوروبية تمتد ما بين بداية القرن الخامس الميلادي و القرن الخامس عشر الميلادي . حيث يرى أصحاب هذا الرأي تميز هذه الفترة – الممتدة على مدى عشرة قرون – عما قبلها و عما بعدها ليس فقط على مستوى الأحداث بل أيضا على مستوى أسلوب حياة الناس و طريقة عيشهم بل و تفكيرهم , ونعني بذلك ظهور الاقطاع و ظهور البابوية و سيطرة الكنيسة على معظم مناحي الحياة في أوروبا.

---

1 H. ST. L. B. MOSS, THE BIRTH OF THE MIDDLE AGES,

مترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان: ميلاد العصور الوسطى , ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد , مراجعة د. السيد الباز العريني , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1998 , ص 10.

2 سعيد عبدالفتاح عاشور , أوروبا العصورالوسطى , مكتبة الأنجلومصرية, 1986, 1, ص3 –4.

3 MOSS, مصدر سابق

, ترجمة , ص 6 –7.

و في نفس السياق نلاحظ اتفاقا من فريق آخر على مبدأ امتداد ,, العصور الوسطى,, طوال عشرة قرون في تاريخ أوروبا كما تقدم في الفقرة السابقة إلا أن هذا الفريق يبني رأيه على أسس و اهتمامات أخرى, فمن وجهة نظره هذه يمكن القول إن "مصطلح العصور الوسطى" قد ظل " حتى زمن قريب يطلق على القرون العشرة الواقعة بين سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب في النصف الثاني من القرن الخامس و ظهور حركة النهضة الإيطالية في القرن الخامس عشر " الميلادي بطبيعة الحال , و يضيف هؤلاء بحسب ما يذكره العالم الجليل المرحوم سعيد عبدالفتاح عاشور أن " ازدياد الاهتمام بالتقدم الحضاري الذي أصابته أوروبا منذ القرن الحادي عشر الميلادي , أدى إلى الاعتراف حديثا بأن ثمة حضارة جديدة قوية شهدتها اوروبا في الجزء الأخير من العصور الوسطى , مما ساعد في ظهور إتجاه بين الباحثين يرمي إلى قصر اسم ,,العصور الوسطى,, على القرون الأربعة التي سبقت النهضة الإيطالية مباشرة[ج] , أو التي تمخضت عن مولد هذه النهضة , على أن تعتبر الفترة الواقعة بين القرنين الخامس و الحادي عشر (الميلاديين) بمثابة دور انتقال طويل بين العصور القديمة الى العصور الوسطى"[1]. و بناء على هذه الرؤية الأخيرة فإننا يمكن أن ننظر إلى العصور الوسطى على انها مسمى يقتصر على الفترة بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر الميلاديين. أما الفترة التي سبقت القرن الحادي عشر الميلادى وما حدث فيها من تغيرات فلم تكن - في نظر هؤلاء - سوى مرحلة تغير و انتقال من العصر القديم الى العصر الوسيط . و بناء على هذه النظرة فيمكن أن نقسم الفترة بين القرن الخامس الميلادي و القرن الخامس عشر الميلادي الى ثلاث مراحل هي كالتالي :

- الفترة من القرن الخامس و حتى القرن العاشر الميلاديين : تعد هذه المرحلة مرحلة انتقالية بين العصر القديم و العصر الوسيط . و ذلك اعتمادا على مبدأ أن اي مرحلة من التاريخ لا تبدأ في سنة بعينها و أن الانتقال من حقبة إلى أخرى تسبقه مرحلة من التغيرات في عموم مناحي الحياة السياسية و الفكرية و الأدبية و كذلك الاجتماعية , و قد تستغرق هذه التغيرات عقودا أو قرونا.

---

[1] عاشور , مصدر سابق , 1, ص 3.

* عصر النهضة قد بدأ في إيطاليا في حدود القرن الرابع عشر الميلادي قبل أن تتحول هذه النهضة لتكون أوروبية حيث بلغت أوج ازدهارها في القرنين 15 و 16, و بما أنها قد بدأت في إيطاليا فقد انتشرت النهضة إلى فرنسا و أسبانيا و ألمانيا و هولندا و إنجلترا وإلى سائر أوروبا . ازدهر شأن النهضة الإيطالية إذ وجدت لها أنصاراً يصرفون عليها المال الوفير, مثل أسرة ميديشي في فلورنسا وسوفرزا في ميلانو و البندقية و البابوات في روما. ويطلق عموما مصطلح عصر النهضة على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وهي القرون 14 – 16, حيث ظهرت تيارات ثقافية وفكرية متميزة عما سبق و قد بدأت في البلاد الإيطالية في القرن 14 ويؤرخ لعصر النهضة بفتح (سقوط حسب التعبير المستعمل في أوروبا) القسطنطينية عام 1453م حيث نزح العلماء إلى إيطاليا حاملين معهم تراث اليونان و الرومان . من أعظم شخصيات النهضة في المجال الفني ليوناردو فينشي و مايكل أنجلو و ميكافيلي ، وغيرهم. و يمكن القول أن هذه الحقبة أثرت في الفن و االعمارة وتكوين العقل الحديث بل أنها لعبت دورا في عودة واعية للمثل العليا والأنماط الكلاسيكية. في هذه الفترة تم اكتشاف أراضي وشعوب جديدة حيث أتسمت هذه الفترة بظهور طائفة كبيرة من الرحالة و المكتشفين منهم الأمير هنري الملاح و كريستوفر كولومبوس و فاسكو ديجاما.

[2] عاشور , مصدر سابق , 1, ص 3.

- الفترة من القرن الحادي عشر و حتى الرابع عشر الميلادي : هي فترة العصور الوسطى . حيث يرى أصحاب هذا الرأي تميز هذه الفترة عما قبلها و عما بعدها , بل و يجزمون بوجود حضارة ما هي ما يعتمدونه في رأيهم للبدء في التأريخ للعصور السطى في هذه المرحلة بالتحديد. و من مظاهر ذلك التطور الحضاري لأوروبا في القرن الحادي عشر الميلادي : إزدهار المدارس الكتدرائية و ظهور أولى الجامعات الأوروبية في سالرنو و بولونيا و باريس و مونتبلييه و اكسفورد [1].

- من القرن الخامس عشر و السادس عشر الميلادي فصاعدا : عصر النهضة.

كما يشير العالم الجليل سعيد عاشور إلى أن " أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين قد أصروا دائما على إتخاذ سنة 476 م – و هي السنة التي سقطت فيها الإمبراطورية في الغرب - حدا فاصلا بين العصور القديمة و الوسطى , و سنة 1453 م - و هي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في ايدي العثمانيين و انتهت فيها حرب المائة سنة بين إنجلترا و فرنسا [2] – حدا فاصلا بين العصور الوسطى و الحديثة" [3].

أما الفريق الثالث فيتمسك بنظرة عامة مبنية على الأحداث الكبرى كبداية و كنهاية لحقبة العصور الوسطى , دون الاهتمام بالتفاصيل أو بما جرى من أحداث أخرى تقل في نظر هؤلاء عن أن تكون بنفس الأهمية التي احتلها سقوط روما في أيدي القوط [4] و إنهيار الإمبراطورية الغربية عام 476 م أو إكتشاف العالم الجديد عام 1492 م , حيث يرى هذا الفريق في سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على أيدي القوط نقطة البداية لهذه العصور نظرا لما يمثله سقوط روما -في أعين العامة المعاصرين لهذا الحدث - من دلالات كانت في معظمها دليل شؤم ليس على الجزء الغربي من الامبراطورية الرومانية فحسب بل على العالم و البشرية جمعاء ويرى هذا الفريق من الباحثين في الكشوف الجغرافية و خصوصا وصول كريستوفر كولومبوس [5] الى اميركا نهاية لهذة الحقبة التاريخية , كون هذه الكشوفات تعد خطوة مهمة في حياة

---

[1] عاشور , مصدر سابق , 1, ص 91.

[2] حرب المائة عام عبارة عن صراع طويل بين فرنسا وإنجلترا، وقد دام 116 سنةً منْ 1337 إلى 1453م.

[3] عاشور , مصدر سابق , 1, ص 3.

[4] القوط قبائل جرمانية شرقية أرجح الآراء أنهم قدموا من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية ، لكن يبقى الخلاف على أصولهم والبلاد التي قدموا منها قائماً إلى اليوم. كان للقوط تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي. في القرن الأول الميلادي هاجرت قبائل القوط جنوباً إلى فيستولا(إحدى مدن بولندا حاليا)، واستقروا في سيكثيا (إحدى مدن كرواتيا حاليا) التي اطلقوا عليها اسم "اوم" وتعني مدينة الماء، وفي القرن الميلادي الثاني اتخذوا من مدينة ارهيمار عاصمة لمملكتهم الناشئة، انضم إليهم العديد من القبائل الرعوية المقاتلة، وكان لهم هيبة ورهبة بين القبائل ربما لأنهم كانوا يقدّمون أسرى المعارك أضاحي لآلهم "تايز". في القرن الثالث انقسم القوط الي فرعين أساسيين : القوط الشرقيين و القوط الغربيين و في القرن الرابع اعتنق بعض من القوط المسيحية واتخذوا الأريوسية مذهباً لهم.

* لمزيد من المعلومات أنظر : عاشور, مصدر سابق,1, ص 83 و101.

[5] كريستوفر كولومبوس (1451 -1506) رحالة إيطالي مشهور، ينسب إليه اكتشاف العالم الجيد (أمريكا). ولد في مدينة جنوة في إيطاليا ودرس في جامعة بافيا الرياضيات والعلوم الطبيعية وربما الفلك أيضاً. عبر المحيط الأطلسي ووصل الجزر الكاريبية في 12 أكتوبر 1492 م لكن اكتشافه لأرض القارة الأمريكية الشمالية كان في رحلته الثانية عام 1498 م . بعض الآثار تدل على وجود اتصال بين القارة الأوروبية و الأمريكية حتى قبل اكتشاف كولومبوس لتلك الأرض بوقت طويل. من شخصيته جاء اسم بلد : كولومبيا .

البشرية و كونها أنهت مرحلة من الجمود الحضاري و الثقافي ساد حياة الشعوب الأوروبية معظم فترة العصر الوسيط , بل إن أصحاب هذا الرأي يرون أن هذا الإنجاز قد وضع الشعوب الأوروبية في الواجهة مقارنة بشعوب العالم على الرغم من أننا نرى و من منظور تاريخي أن تلك الكشوفات و برغم أهميتها قد تحولت إلى وبال على بعض الشعوب الأصلية كالهنود الحمر في أمريكا أو السكان الأصليين لامريكا اللاتينية أو أستراليا.

أما الفريق الرابع فمتشعب خصوصا فيما يخص بداية العصور الوسطى حيث أخذ كل مؤرخ من هذا الفريق بعهد امبراطور أو معركة من المعارك الفاصلة , أو صراع بين الوثنية و المسيحية كنقطة يعتمد عليها في رأيه , فمنهم من يرى في عهد الإمبراطور دقلديانوس 284 – 305 م[1] بداية للتاريخ الأوروبي الوسيط و ذلك لما قدمه من إصلاحات في مجالات عديدة و كذلك موقفه العدائي من المسيحية, فقد جعل من نفسه في حمى جوبيتير كبير الآلهة و سمى نفسه Jovius أي المنتمي إلى جوبيتير و جعل شريكه ماكسيميان تحت حماية هيراكليوس بن جوبيتير و أطلق عليه Heraclius أي المنتمي لهيراكليوس , و نتيجة لاضطهاده الشديد للمسيحيين فقد أطلق عليه سفاح المسيحيين[2] , و عليه فلا بد من النظر إلى حكم هذا الإمبراطور على أنه يمثل فترة حاسمة في تاريخ أوروبا بل يجب اعتماده كمرحلة انتقال من التاريخ القديم إلى الوسيط. في حين يرى فريق آخر أن عهد قسطنطين الكبير 305 -337 م[3] بداية لهذه الحقبة الوسيطة

---

[1] دقلديانوس (بالإنجليزية : Diocletian) إمبراطور روماني حكم في الفترة من 284 م حتى 305 م : ولد عام 245 م في مدينة سالونا بولاية دالماشيا بإقليم ايلليريا المطل على البحر الادرياتى غرب كرواتيا حاليا وكان أبواه فقيرين, انضم إلى طبقة الفرسان ووصل إلى رتبة دوق (اى قائد الفرسان) في ولاية ميسيا، ثم أصبح قائد قوات الحرس الامبراطورى الخاص وهى من الوظائف الخطيرة، وتجلت كفاءته العسكرية في حرب فارس . بعد موت الامبراطور نوريانوس (283 – 284 م) اعترف به بانه اجدر شخص بعرش الامبراطورية. كان اسم دقلديانوس الحقيقى (ديوقليز) وقد اختار اسم دقلديانوس بعد ان اعتلى العرش واتخذ دقلديانوس لنفسه تاجا (عصابة عريضة مرصعة باللآلئ) واثوابا من الحرير والذهب، واحذية مرصعة بالحجارة الكريمة. وابتعد عن اعين الناس في قصره، وحتى على زائره ان يمروا بين صفين من الخصيان والحجاب وامناء القصر ذوى الالقاب والرتب، وان يركعوا ويقبلوا اطراف ثيابه. عندما أعتلى "' دقلديانوس "' عرش الإمبراطورية الرومانية في سنة 284 ميلادية حاول إدخال بعض الأصلاحات بإدماج ولايات وتقسيم ولايات أخرى. وكان مكسيميانوس شريكا لدقلديانوس في حكم الغرب.

❖ لمزيد من المعلومات أنظر : – عاشور, مصدر سابق,1, ص 35. – معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , أ. د. أبراهيم خميس ابراهيم , أ. د. حسن عبدالوهاب حسين , د. سهير ابراهيم نعينع , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , 2003 , ص 33.

[2] معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 33.

[3] قسطنطين الأول (27 فبراير 272 – 22 مايو337م) (باللاتينية Flavius Valerius Aurelius Constantinus Gaius) هو إمبراطور روماني يعرف أيضا باسم قسطنطين العظيم بن قسطانس وأمه القديسة هيلانة. لقد كان حكم قسطنطين نقطة تحول في تاريخ المسيحية, فهو أول امبراطور روماني اعتنق المسيحية، وعن طريقه تأثرت أوروبا بهذه الديانة حتى أصبحت وعاء لثقافة أوروبا إلى عصرنا الحاضر . في عام 313م أصدر مرسوم ميلانو الذي أعلن فيه إلغاء العقوبات المفروضة على من يعتنق المسيحية وبذلك أنهى فترة اضطهاد المسيحيين. كما قام بإعادة أملاك الكنيسة المصادرة. يوجد خلاف بين الباحثين إذا ما كان قسطنطين قد اعتنق المسيحية في شبابه تحت تأثير أمه هيلانة أو إنه تبنى المسيحية تدريجياً خلال حياته. بالإضافة إلى ذلك كان قسطنطين قد دعى إلى عقد مجمع نيقية المعروف باسم المجمع المسكوني الأول عام 325م. اسس مدينة القسطنطينية و قام بإعلانها عاصمة رسمية للإمبراطورية الرومانية عام 330م. وقد تم تغيير اسم المدينة إلى القسطنطينية – على اسمه – بعد موت قسطنطين عام 337م. كانت اروبا تقريبا كلها خاضعة لقسطنطين ناصر الديانة المسيحية واقتلع الديانات الوثنية القديمة كما اسس كنيسة القيامة في الاراضي المقدسة، وكان الراعي لمجمع نيقية المسيحي وهو أول قانون تم فيه بلورة المسيحية بشكلها الحالي قبل الانقسامات في العصور التالية. توفي سنة 337م أثناء معاركه مع الفرس ودفن في عاصمته القسطنطينية بعد ان تم تعميده وفق التقليد المسيحي. كانت القسطنطينية أول مدينة مسيحية في العالم , وقد بقيت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية حتى عام 1453حين فتحها العثمانيون وتم تغيير اسمها إلى إسلام بول عام 1930.

وذلك لأمرين الأول الاعتراف بالمسيحية كإحدى الديانات الرسمية في الإمبراطورية لتنهار بذلك إحدى الأسس التي كانت تقوم عليها الإمبراطورية ألا وهي عبادة الإمبراطور, أما الأمر الثاني الذي قام به الإمبراطور قسطنطين فهو بناء القسطنطينية أو روما الجديدة و اعتمادها عاصمة جديدة لإمبراطوريته . وهما حدثان لا يمكن لأحد أن ينكر أهميتهما في التاريخ الأوروبي عامة. أما الفريق الثالث فيرى في عهد جوليان المرتد 361 -363 م[1] نقطة يقف عندها للحديث عن بداية التاريخ الوسيط و ذلك لموقفه من الوثنية ضد المسيحية, ففي الوقت الذي كانت فيه المسيحية تسير نحو التفوق و السيادة بعد تحوله إلى الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية, حاول هذا الإمبراطور وقف ذلك. و في بداية حكمه أصدر مرسوما للتسامح , و لكنه منع رجال الدين المسيحيين من إلحاق الأذى بالوثنيين . ثم سرعان ما بدأ في إضطهاد المسيحيين ثم منعهم من العمل في التعليم , و إبعادهم عن وظائف الجيش و الإدارة . و أخذ يصرف ببذخ لإعادة المعابد الوثنية إلى سابق عهدها , و كذلك إجبار المسيحيين على دفع تعويضات عن الاراضي التي أخذوها من الوثنيين[2] , ثم سرعان ما بدأ سياسة التنكيل بالمسيحيين , وهو أمر يرى بعض المؤرخين أنه يستحق الوقوف كونه يمثل مرحلة جديدة و فاصلة بين التاريخ القديم و الوسيط. أما الفريق الرابع فيرى في اعتناق القوط الغربيين للمسيحية[3] بعد سقوط روما في أيديهم حدثا يعتمد عليه في القول ببداية حقبة جديدة من التاريخ هى ,, العصور الوسطى,, خصوصا و أن هؤلاء قد صبغوا مناحي حياتهم بصبغة مسيحية على الرغم من إحتفاظهم ببعض الخصوصيات[4] , و تكمن أهمية اعتناق القوط للمسيحية أولا في دخولهم هذه الديانة على المذهب الأريوسي المخالف لمذهب الإمبراطورية و ثانيا في حذو قبائل الوندال و البرجنديين و اللمبارديين حذوهم بخلاف الفرنجة مما سيؤثر في علاقة هذه الشعوب الجرمانية بالشعوب الأوروبية, و نعني بذلك أن هؤلاء القوط قد أصبحوا إلى حد ما "روماني الثقافة و مسيحي الدين " و بالتالي فقد أصبحوا كذلك "اوروبي الانتماء كبقية الشعوب" , و بطبيعة الحال فإن تحول تلك الشعوب البربرية إلى شعوب

❖ لمزيد من المعلومات أنظر : - عاشور, مصدر سابق 1, ص 40 -59.

- معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 33 -34.

[1] يوليانوس (يوليان المرتد - يوليانوس الجاحد) (331– 363م) (Julian) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية (361–363م) حاول يوليانوس المرتد أن يعيد احياء الوثنية في الإمبراطورية الروما نية في عام 361 لكنه فشل، قبل أن تصبح المسيحية ديانة رسمية ووحيدة للإمبراطورية على يد الإمبراطورثيودسيوس الأول (378 - 395م).

❖ لمزيد من المعلومات أنظر : عاشور, مصدر سابق, 1, ص 60.

- معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 34.

[2] معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 34 -35.

[3] معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 35.

[4] FOSSIER R., Le Moyen Âge, Paris, Armand Colin, 1982-1983, I, p. 77.

- يرى عاشور أن القبائل البرابرة قد تأثرا بغيرهم من الشعوب و الحضارات و خصوصا الحضارة الرومانية على عكس المسلمين الذين اثروا في الشعوب الأخري التي أخذت قيم و نظم الحياة الاسلامية. أنظر: عاشور, مصدر سابق 1, ص 144.

حضارية هو شئ في غاية الأهمية . أما الفريق الذي يليه فيرى في معركة أدرنة 378م[1] بين القوط و الإمبراطورية الرومانية و التي انتهت بمقتل الإمبراطور و هزيمة الرومان تحولا تاريخيا لا يمكن المرور دون النظر إليه كتحول مهم فحسب بل يتوجب كذلك - بناء على رأي هؤلاء - اعتبار ذلك بداية لمرحلة جديدة هي ما نسميها بالعصور الوسطى وذلك لا لشيء إلا لأن بعض الشعوب الجرمانية قد استطاعت أن تهزم جيش الامبراطورية الرومانية العظيمة التي كانت تعد رمزا للقوة و الحضارة , و قد أظهرت هذه المعركة أنه بمقدور أي قبيلة جرمانية أن تهزم جيشا رومانيا. و كانت هذه الحقيقة بمثابة إنذار لقرب انهيار الامبراطورية الرومانية . و يرى فريق آخر في حكم ثيودسيوس الكبير 379 -395 م[2] مبررا يعتمد عليه في رأيه و يقول هذا الفريق إن هذا الإمبراطور هو من كسب ود القوط , ذلك الشعب الذي لم يعرف سوي الصدامات و الحروب كغيره من الشعوب الجرمانية طوال فترة البحث عن موطن خصوصا مع الإمبراطورية الرومانية , كما أن ثيودسيوس قد استطاع القضاء على المذهب الأريوسي , و على هذا الأساس فلا بد من اعتبار هذه الخطوة الذي قام بها ثيودسيوس الكبير كإحدى التحولات التاريخية التي يجب الوقوف عندها بل و التأريخ لمرحلة جديدة تنتهي بها العصور القديمة و يبدأ معها عصر جديد هو ,,العصور الوسطى,,. و يرى فريق آخر في تقسيم الامبراطورية إلى قسمين شرقي و غربي عام 396 م[3] حدثا وقفوا عنده و اعتمدوا عليه في رأيهم , آما آخرون فيرون في اغتيال ستيلكو و السقوط الأول لروما عام 406 -410 م[4] في أيدي

---

[1] في التاسع من أغسطس من عام 378م ، دارت رحى معركة إدرنة، أو معركة «أدريانوبل» كما تعرف في الغرب، بين قوات الإمبراطورية الرومانية وقبائل القوط، بالقرب من مدينة إدرنة التركية حالياً، أو أدريانوبل كما كانت تسمى سابقاً، وهي كلمة تعني مدينة إدريان، نسبة إلى اسم الإمبراطور الروماني، الذي شيدها، وتعد المعركة في نظر العدد الأكبر من المؤرخين، بداية النهاية بالنسبة للإمبراطورية الرومانية.

❖ لمزيد من المعلومات , أنظر: معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 35 -36.

[2] قسم الامبراطورية الرومانية الى جزئين شرقي تحت و لده أركاديوس و غربي ناله ولده هونريوس. حول ثيودسيوس الكبير

❖ أنظر :

- معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 36 -37.
- عاشور, مصدر سابق, ص 111.
- MOSS, مصدر سابق
- , ترجمة, ص37.

[3] انظر :

- MOSS, مصدر سابق
- , ترجمة, ص37.

[4] ستيلكو قائد هونوريوس.

❖ أنظر : - معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق, ص 37.

- MOSS, مصدر سابق
- , ترجمة, ص38.

القوط حدثا مهماً يبرر ما يرونه , في حين يرى آخرون في عزل رومولس اوجسطولس 476 م[1] بعد سقوط روما في أيدي القوط ثانية حدثا أهم مما سواه في رأيهم للتأريخ لمرحلة مميزة عما قبلها , في حين يرى آخرون أن العصور الوسطى تبدأ ما بعد جستنيان 565م[2] حين عادت سلطة الإمبراطور بعد الإهتزازات التي عمت الإمبراطورية الغربية منذ سقوط روما , و يرى آخرون في تتويج شارلمان عام 800 م[3] نقطة تستحق اعتبارها بداية للعصور الوسطى, و ذلك نظرا لأهمية هذه الخطوة في إعادة الإمبراطورية في الغرب الأوروبي بعد غياب دام أربعة قرون تقريبا و الذي بدأ بعد سقوط روما في أيدي القوط عام 476م.

ومن خلال هذه الاجتهادات يتضح أن آراء المؤرخين قد تعددت حول بداية التاريخ الاوروبي الوسيط إلا أن مجمل هذه الآراء ترتبط ,,بضعف و سقوط الامبراطورية الرومانية بصفة عامة,,[4]. كما أن الكثير من هذه التحليلات تشير إلى بعض التطورات العظيمة التي حدثت في حدود القرنين الرابع و الخامس الميلاديين و التي كان لها أثر كبير في تغير وجه التاريخ القديم , و هو ما يؤكده العالم سعيد عاشور , لا سيما فيما يخص القرن الرابع الميلادي كبداية لهذه الحقبة التاريخية و القرن الخامس عشر الميلادي كنهاية لها : " و كل ما هنالك أننا نلمس في القرن الرابع حدوث بعض التطورات العظيمة التي كان لها أثرا في تغيير وجه التاريخ القديم , و إن ظلت معالم هذا التاريخ القديم باقية في أوروبا إلى ما بعد القرن الرابع بكثير . من ذلك ما شهده ذلك القرن من اعتراف الامبراطورية بالديانة المسيحية سنة 313م, ونقل عاصمة الإمبراطورية إلى القسطنطينية سنة 330م , و ازدياد خطر الجرمان على كيان الامبراطورية الرومانية عقب موقعة أدرنة سنة

---

[1] من الأمور الشائعة قولهم إن الامبراطورية الغربية سقطت في 476 عندما خلع أودواكر زعيم القوط الامبراطور رومولوس أوغسطولوس لكننا ننوه أن رومولوس كان مغتصبا للعرش, إذ أن الامبراطور الشرعي للاجزاء الغربية الذي لجأ إلى دالماشيا قبل ذلك ببضع سنوات, قد مات في 480. و كان معنى ذلك من الناحية الدستورية أن زينون أصبح يحكم آنئذ الامبراطورية كاملة غير مقسمة من بيزنطة.

❖ أنظر :

- MOSS, مصدر سابق

, ترجمة, ص38.

- معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 37 -38.

[2] جستنيان الأول (فلافيوس بتروس ساباتيوس يوستيانوس) كان أمبراطورا رومانيا شرقيا (بيزنطيا) حكم منذ أغسطس عام 527 م حتى وفاته في نوفمبر 565. يشتهر بإصلاحه الرمز القانوني خلال لجنة تريبونيان والتوسع العسكري للأرض الإمبراطورية أثناء عهده، وزواجه وشراكته مع الإمبراطورة تيودورا . يعرف أيضاً باسم "الإمبراطور الروماني الأخير". يعتبر قديساً في الكنيسة الارثوذكسية ويحيى في الرابع عشر من نوفمبر . وقد تولي الحكم بعد وفاة عمه الامبراطور جستن الأول.

❖ لمزيد من المعلومات أنظر : - معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص38.

عاشور, مصدر سابق,1, ص 112.

[3] 1لمزيد من المعلومات حول هذه الآراء أنظر : - معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 39.

❖ شارلمان (742 - 814) هو ملك الفرنجة حاكم إمبراطوريتهم بين عامي (768 - 800) وإمبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة بين عامي (800 - 814). الابن الأكبر للملك بيبين الثالث من سلالة الكارولنجيين . ويعتبر بيبين القصير (حكم من عام 751 إلى عام 768) مؤسس حكم أسرة الكارولنجيين في حين يعتبر ابنه شارلمان (حكم من عام 768 إلى عام 814) أعظم ملوكها. حول شارلمان أنظر : عاشور , مصدر سابق , 1, ص 200 -217.

[4] معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , مصدر سابق , ص 39.

378م , و إتخاذ المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية سنة 392 م , ثم تقسيم الإمبراطورية الرومانية الكبرى إلى قسمين شرقي و غربي سنة 395م , فالقرن الرابع إذا يمثل العصر الذي اجتمعت و تفاعلت فيه مختلف العناصر الاساسية التي كيفت تاريخ أوروبا في العصور الوسطى و هي الكنيسة و الجرمان و الإمبراطورية , ... كذلك يلمس الباحث في تاريخ القرن الخامس عشر أن ثمة تطورات هامة اخذت تلم بالمجتمع الأوروبي - و لا سيما في النصف الثاني من ذلك القرن – لتغير المألوف و تنقل بذلك المجتمع –تدريجيا - نحو أوضاع أخرى جديدة . ففي سنة 1453م سقطت القسطنطينية – عاصمة الإمبراطورية العتيدة – في أيدي العثمانيين , مما ترتب عليه حدوث انقلاب خطير في شرق أوروبا نتيجة لاتساع نفوذ العثمانيين . حقيقة أن هذه لم تكن المرة الأولى التي تسقط فيها عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في أيدي الأعداء , فقد سبق أن سقطت في أيدي رجال الحملة الصليبية الرابعة سنة 1204 م , و عندئذ تعرضت الامبراطورية البيزنطية و عاصمتها لأشد أنواع العبث على أيدي الصليبيين . و لكن على الرغم من العداء المذهبي الشديد بين الصليبيين الكاثوليك و البيزنطيين الأرثوذكس , إلا أننا يجب أن نذكر أن هؤلاء الصليبيين كانوا مسيحيين غربيين . أما العثمانيون الذين استولوا على القسطنطينية 1453م , فلم يكونوا مسيحيين أو غربيين و إنما كانوا مسلمين شرقيين , مما يوضح خطورة الانقلاب الذي تعرضت له أوروبا و حضارتها نتيجة ذلك الحدث . و إذا كانت سنة 1453 تمثل نقطة تحول خطيرة في تاريخ ذلك الجزء الشرقي من أوروبا فإن هذه السنة ذاتها قد تكون عديمة الأهمية بالنسبة لكثير من بقية بلاد أوروبا . حقيقة انها شهدت أيضا هزيمة الانجليز في موقعة شاتيلون و بذلك وضعت نهاية فعلية لحرب المائة عام , و لكننا لو دققنا النظر في تاريخ أنجلترا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وجدنا أن سنة 1485 –التي شهدت قيام اسرة ثيودور في الحكم - أكثر بروزا و أهمية بالنسبة للتاريخ الإنجليزي بالذات.

ومثل ذلك يقال عن سنة 1466 بالنسبة لبولندا لان فيها خضع الفرسان التيتون[1] و أنضمت بروسيا إلى بولندا و سنة 1480 بالنسبة لروسيا لتحررها وقتئذ من نفوذ المغول , و سنة 1491 -1492 بالنسبة لاسبانيا لسقوط دولة غرناطة الإسلامية . هذا كله عدا ما شهده النصف الآخر من القرن الخامس عشر من حركة إفاقة شاملة سرت في المجتمع الأوروبي ليترتب عليها ما يعرف باسم حركة النهضة , و هي الحركة التي كان أهم مظاهرها إحياء الآداب و العلوم و الفنون و تحرير العقل البشري من كثير من القيود القديمة

[1] 1تعتبر طائفة الفرسان التيتون إحدى الطوائف التي نشأت في العصور الوسطى مثلها مثل طائفة الداوية والاسبتارية التي نشأت زمن الحروب الصليبيه , اما طائفة الفرسان التيتون فقد نشأت سنة 1189م بعد وفاة امبراطور المانيا فردريك بربروسا زمن الحملة الصليبية الثانية وطائفة فرسان التيتون من العنصر الالماني وكانت هذه الطائفة قد نقلت جهودها من بلاد الشام الى شمال اوروبا بعد خروج الصليبين من الشام سنة 1292م. .

وقد تمكنت هذه الطائفة من نشر المسيحية بين الشعوب السلافية شمال أوروبا وعلى الرغم من جهود التيتون في نشر المسيحية بشمال اوروبا فقد وقفت البابوية الى جانب البولنديين في حربهم ضد التيتون في القرن الرابع عشر ميلادي.

, والتي جاءت مصحوبة باختراع الطباعة من جهة , و اكتشاف الطرق البحرية إلى أمريكا و الهند من جهة ثانية , ثم الثورة على الكنيسة و أوضاعها من جهة ثالثة. "[1].

أما نحن فنوافق هذه الأفكار مجتمعة في إعطاء أهمية كبرى لكل الأحداث التي حدثت كبناء القسطنطينية و نقل عاصمة الإمبراطورية و تقسيمها ...إلخ , إلا أننا نعطي سقوط روما في نهاية القرن الخامس الميلادي في أيدي القوط الغربيين أهمية لا سيما لما كان لهذا الحدث من أهمية - ليس لدى الطبقات المسيطرة فقط و إنما لدى العامة أيضا -فسقوط روما – المدينة التي كانت تعد رمزا للقوة و التمدن و التحضر طوال التاريخ القديم - لم يقتصر في كونه حدثا مهما عابرا قد يعني بداية مرحلة جديدة فحسب بل إن البعض و لا سيما من العامة قد فسره على أنه بداية لنهاية العالم , و على هذا الأساس فإننا نرى أن حدثا مثل هذا و ما له من رؤية تميزه عن غيره من الأحداث , يستحق أن يقدم عما سواه في التأريخ لبداية العصور الوسطى. أما بداية عصر النهضة الاوروبية , فنرى أنه لا يمكن المرور دون النظر إلى التحولات التي ظهرت منذ نهاية القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر الميلادي و ربما قبل ذلك , لتؤثر على تاريخ العالم و بالتالي فإنه يمكننا الحديث و بثقة عن مرحلة مميزة عما قبلها, إلا أننا نرى أن بالإمكان إضافة فكرة إمكانية اعتبار البعثة النبوية و ظهور الإسلام علامة لنهاية العصور القديمة على مستوى العالم خصوصا و أن هذا الدين قد وصل شرقا و غربا و أن أوروبا لم تكن في معزل عنه بل إن هذا الدين الجديد قد وصل سريعا إلى عمق القارة المذكورة بل و كان له اثر عظيم في مصيرها , و لا نرى ضيرا في أن نعتبر فتح القسطنطينية أو سقوط غرناطة نهاية لهذه الحقبة التاريخية . علماء أن ما طرحناه يتزامن مع مختلف الآراء المؤرخة لبداية و نهاية حقبة العصور الوسطي إلا أننا نريد أن نربط كل هذه الآراء بمرجعيات لا تمثل جزاء من هويتنا فحسب بل إن تلك المرجعيات التاريخية قد أثرت على تاريخ العالم.

و أيا كان التعريف فإن كل المؤرخين يجمعون على الفكرة القائلة بان حقبة العصور الوسطى هي حقبة طويلة جدا تميزت بعدم و جود أي قيمة للفرد دون الجماعة أو القبيلة و هي فترة سادتها الحروب والصراعات و تفشي الكثير من الأمراض و الأوبئة في أوروبا , في حين أن العالم الإسلامي كان مصدر العلوم و المعرفة للعالم . فتلك العصور الوسطى المظلمة في أوروبا كانت متزامنة مع فترة ظهور الاسلام و بناء الدولة الاسلامية ثم الخلافة الراشدة , فالدولة الاموية , فالعباسية , فالفاطمية , فدولة الايوبيين , فالمماليك , فالإمبراطورية العثمانية . و لا شك أن فكرة العصور المظلمة التي يطرحها بعض المؤرخين العرب هي أيضا واضحة و مطروحة في أوروبا و الدليل علي ذلك هو استخدام الأوربيين أنفسهم لمصطلح عصر النهضة La Renaissance للفترة من القرن السادس عشر فصاعدا , و التي تترجم ,,بالمولد الجديد,, مما يعني أن

[1] عاشور, مصدر سابق, 1,ص 4 -6.

المرحلة التي سبقتها هي مرحلة مظلمة و عقيمة مقارنة - في نظر هؤلاء - بما تلتها من فترات و كذلك مقارنة - في نظرنا و نظر المنصفين منهم - بحال العالم الإسلامي الذي كان في أوج حضارته . ومما لا شك فيه أن هذه الفكرة معروفة و لا يجهلها أحد. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة من التاريخ تشكل رحلة المجتمع الأوربي مع النظام الإقطاعي الذي ساد أوربا خلال الفترة من القرن التاسع وحتى القرن الرابع عشر و الذي سحق العامة من الشعوب الأوروبية ، حيث كانت القواعد العامة لهذا النظام الإقطاعي تكاد تكون واحدة قائمة علي الفردية و نعني بذلك في " التملك" , فالملوك و النبلاء و الفرسان كانت لهم مصالح مشتركة قائمة على الأرض و العبيد و المال أما الفرد من العامة فلم يكن ذا قيمة تذكر و قد سعى هؤلاء الأغنياء الى البحث عن المزيد من الغني لمن هم أغنياء و المزيد من السحق لطبقة العامة ، لكن التأثير و النتائج لهذا النظام لم تكن واحدة في دول أوربا المختلفة، حيث أن العصور الوسطى بنظامها الإقطاعي قد أفرزت في النهاية أنظمة تختلف عن بعضها كل الاختلاف. فقد خرجت فرنسا من النظام الإقطاعي ملكية قوية، تمثلت في تعبير لويس الرابع عشر "أنا الدولة "، بينما خرجت إنجلترا "ملكية مقيدة"، الملك فيها يملك ولا يحكم، على حين خرجت ألمانيا من هذا النظام الإقطاعي دولة ممزقة بكل ما تعنيه الكلمة. تجدر الاشارة الى ان المورخين الاوروبيين يقسمون –بدورهم - العصور الوسطى إلى ثلاث حقب تاريخية :

الأولى : هي العصور الوسطى البعيدة (العليا) , و التي تمتد بحسب هؤلاء بين القرن السادس و العاشر الميلادي.

أما الثانية : فهي العصور الوسطى المتوسطة و تشير إلى الفترة بين القرن الحادي عشر و الثالث عشرالميلاديين.

أما الفترة الثالثة و الأخيرة : فهي العصور الوسطى القريبة (السفلى), و تمتد بين القرنين الرابع عشر و الخامس عشر الميلاديين[1].

وينبغي أن نشير إلى أن العصور الوسطى أو القرون لوسطى في أوربا لم تكن دامسة في ظلامها تماما كما يمكن أن نتصوره من العقم فتلك المرحلة الأولى التي تلت سقوط روما في ايدي القوط الغربيين عام 476م و التي امتدت لحوالي خمسة قرون (بين الخامس و العاشر الميلاديين) شهدت حضارة خاصة بها ممزوجة بين الحضارة الرومانية و الجرمانية, كما ان أوروبا لم تخل من مدنية لها شخصيتها واتجاهاتها وطبيعتها الخاصة وإن كانت لا تعتبر بطبيعة الحال في مرتبة المدنية الرومانية التي سبقتها في العصور القديمة أو مرتبة المدنية في العصور الأوربية الحديثة؛ وذلك لاختلاف مظاهر الحياة في تلك العصور , كما أن هذه الحقبة شهدت إحياءً للأمبراطورية لا سيما بعد تتويج شارلمان (في القرن الثامن الميلادي). أما المرحلة الثانية

[1] .FOSSIER R., op. cit, I, p. 77

التي امتدت بين القرن الحادي عشر و الثالث عشر فقد شهدت نهضة اقتصادية و ثقافية مهمتين، و بالنسبة للمرحلة الثالثة التي امتدت من القرن الربع عشر فقد شهدت نهضة عمرانية هامة. كما تجدر الإشارة إلى أن "من أبرز خصائص العصور الوسطى : ظاهرة العالمية الممثلة في خضوع أوربا لحكم إمبراطوريتين كبيرتين هما الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية البيزنطية. أما الظاهرة الثانية فتمثلت في ظهور البابوية كسلطة دينية وهيبة مسيطرة بينما تمثلت الظاهرة الثالثة في ظهور نظام الإقطاع بجوانبه الإيجابية والسلبية.

كما شكلت الحروب الصليبية الظاهرة الرابعة التي كان لها أبلغ الأثر في تغيير الأوضاع الأوربية نتيجة لتعرف الأوربيين على جوانب كثيرة من الحضارة العربية الإسلامية التي احتكوا بها ونبهتهم إلى واقعهم المتردي آنذاك" [1].

- المحور الثالث : ترجمة بحث العصور الوسطى " Le Moyen Âge " للمؤرخ الفرنسي آلان بورو Alain BOUREAU[2]

إن مصطلح العصور الوسطى (لو موين آج) " Le Moyen Âge " يحمل معنى عام ومتناقض في نفس الوقت. ففي الوقت الذي يشير فيه إلى فترة تاريخية والى نموذج لمجتمع معين في جهة معينة من العالم فهو يشير كذلك إلى نظامٍ تاريخيٍ يحمل دلالةً عالميةً.

إن أي تقسيم منهجي للتاريخ هو تقسيم (مجازي) conventionnel متفقٌ عليه , حيث يظهر هذا الاتفاق حين يتم بناء تقسيم التاريخ على كمية صافية (فترة محددة) من الزمن كالقرن. إن من الأهمية بمكان القول : أن الجانب الفني (التصنعي) يتلاشى بالتدريج فيما نقدمه (نحن من أراء) [3] سواء العلماء أو العامة حيث تأخذ هذه الآراء لون الحقيقة المميزة (بمعنى أن الأراء التي يطرحها المفكرون او الناس البسطاء تتحول تدريجيا و مع مرور السنوات لتأخذ لون الحقيقة و لكن فهم الآراء و الأحداث التاريخية يتطلب فهما شاملا

[1] أباظة (فاروق عثمان)، دراسات في تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1995، ص 17 -18.

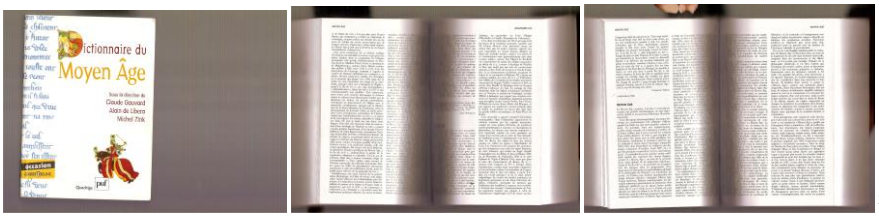

[2] Dictionnaire du Moyen Âge, sous la direction de GAUVARD Cl., DE LIBERA A. et ZINK M., Paris, Quadrige, PUF, 2002, p. 950 –953.

[3] نود التنويه إلى أن الكلمات أو العبارت التي تحتها خط في متن الترجمة هي من إضافة المترجم و ذلك للحاجة لربط النص و الأفكار و تسلسلها و ذلك تسهيلا لفهم الترجمة ككل.

للظرفية التاريخية العامة لهذا الحدث و ربطه بالأحداث الأخرى : فمثلاً لا يمكن تمييز (فهم) القرن السابع عشر الميلادي في أي حال من الأحوال , دون النظر إلى سلسلة الأحداث ذات الطبيعة الخاصة التي حدثت خلاله ، مؤسسات , اتجاهات , وأخذها ضمن استمرارية زمنية (كونتينيوم) continuum وإدخالها ضمن الظرف الزمني 1601 -1700م ، و التي تزداد صلابتها (أي فهم الصورة العامة للقرن السابع عشر) من خلال صور عامة ل (فرساي Versailles ، لويس 14 XIV Louis)[1] وكذلك من خلال (فهم) ممارسات فئوية (صحف , جمعيات , قضاة) (بمعنى أنه يتوجب علينا جمع كل تلك الجزئيات و ترتيبها كي نصنع الموزاييك المراد فهمه حيث ان كل جزئية تمثل قطعة و الكل يشكل الصورة العامة للقرن السابع عشر كمثال) . كما أن الجانب الفني (التصنعي) في التقسيم التاريخي يمكن أن يتلاشى حين يتعلق بناؤه بفترات طويلة كالعصور الوسطى[2] (وهذا يشير إلى صعوبة تجزئة الأحداث و عزلها ضمن فترات قصيرة و منطقية الحاجة للتحقيب ضمن فترات طويلة)، فنظراً للحاجة للإلمام العام بالمسار الزمني للتاريخ ظهرت الحاجة الماسة للتقسيم التاريخي منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ضمن البرامج الدراسية وبهذا تم الأخذ بالتقسيم العام لفلسفة التاريخ ضمن المؤسسة التعليمية ، ففي فرنسا يستمر التقسيم التاريخي إلى 4 مراحل : التاريخ القديم (انتيكيتيه) Antiquité ، العصور الوسطى(لو موين آج) Le Moyen Âge، التاريخ الحديث (تم موديرن) Temps Modernes ، التاريخ المعاصر (إيستوار كونتمبوران) Histoire contemporaine. حيث يتقبل المؤرخون بشكل عام منطقية فكرة ألفية العصور الوسطى (أو فكرة 12 قرنا تمثل القرون الوسطى) : و التي تمتد منذ القرن الرابع أو الخامس الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي . وبالتأكيد فان النقاش كان قليلاً جداً في موضوع بدايات ونهايات التاريخ الوسيط ، بالإضافة إلى أن الحلول المقترحة هي قليلة و بشكل ملفت للنظر: فالعصور الوسطى تبدأ مثلا مع تتويج قسطنطين الأول[3] Constantin (313 م) الذي صبغ الدولة الرومانية بالمسيحية أو مع خلع روميليوس أوغسطس Romulus Augustule(476م)[4] ، والذي كان علامة لسقوط الإمبراطورية الرومانية، وتنتهي العصور الوسطى مع سقوط بيزنطة la chute de Byzance (1454م)[5] أو مع اكتشاف أمريكا(1492م). هذا

[1] لويس الرابع عشر. (ولد في 5 سبتمبر، 1638 وتوفي في 1 سبتمبر، 1715م). حكم في 14 مايو، 1643 قبل أشهر قليلة من يوم ميلاده الخامس. لكنه لم يكن يحمل السيطرة الفعلية حتى توفي رئيس الوزراء الكاردينال مازارين في 1661 م . بقي على العرش حتى وفاته الذي حدث قبل يوم ميلاده السابع والسبعين بأيام قليلة. كان يلقب بالملك الشمس وذلك لاهتمامه ورعايته الأدب والفن. وهو الذي قام ببناء قصر فرساي في فرنسا. لويس الرابع عشر، صاحب ثاني أطول فترة حكم عرفت منذ القدم التي استمرت اثنتين وسبعين سنة وثلاثة أشهر بعد سوبهوزا الثاني ملك سوازيلند (1899 – 1982م).

[2] أي أن ذلك يصبح قريبا من المنطق.

[3] حول قسطنطين الأول أنظر الملاحظة رقم 22.

[4] رومولوس أوغسطس (475-476 م) هو آخر ملوك الإمبراطورية الغربية فقد الملك مع سقوط روما في أيدي القوط الغربيين بقيادة أدواكر عام 476 م.

[5] عادة ما يشير المؤرخون إلى فتح القسطنطينية بعام 1453 بينما يستخدم آلان بورو 1454م كما انه يستخدم مصطلح سقوط القسطنطينية la chute de Byzance ولكننا بدورنا نعتبر ذلك فتحا و على هذا الاساس نستخدم في كتاباتنا مصطلح فتح القسطنطينية la conquête de Constantinople.

التقسيم يعد موضوع اتفاق رسمي عالمي ، يشهد على ذلك وجود جمعية عالمية لمؤرخي العصور الوسطى (ميديفيست) médiévistes . (على عكس قلة الآراء و النقاشات في موضوع بدايات و نهايات فترة العصور الوسطى كدليل على الأتفاق على تميز هذه الفترة و حتمية وجودها) فإن الآراء تتعدد في موضوع تجزئة العصور الوسطى (نفسها) أو في موضوع إعطاء أهمية -غير متفق عليها - لحدث أو لظاهرة ما خلال هذه الفترة ، أما التجاوزات النادرة والتي تظهر كافتراضات بحثية فهي تؤكد صلابة الإتفاق (على وجود فترة وسيطة) : فمثلاً حين يذكر جاك لوجوف[1] Jacques Le Gofe عصور وسطى طويلة (لونج موين آج) Long Moyen Âge تمتد حتى القرن 18م ونعني بذلك إلى بداية الثورة الصناعية ، أو حينما يمد جاي بوا Guy Bois التاريخ القديم حتى القرن 10م معتمداً على نمط الإنتاج العبيدي (لا برودوكسيون إسكلافاجيست) la production esclavagiste . حينها يمكن القول أننا أمام تحطيم لنظرية التحقيب التاريخي وأننا أقرب إلى مقترحات لتفسير النمط الاجتماعي السائد في المرحلة (و هنا يدل المعنى العام على ان هذه الآراء البحثية لبعض المؤرخين مثل لو جوف و بوا ليست سوى تجاوزات فردية مرتبطة بتحليل فردي و إعطاء أهمية كبرى للنمط و للظرفية الإجتماعية السائدة في فترة ما و صبغها بتلك الظاهرة و لكن هذه الآراء الفردية تؤكد الإجماع المتفق عليه بين معظم المؤرخين على وجود حقبة تاريخية وسيطة)، أما العلامة الأخرى التي تدل على صلابة نظرية التحقيب التاريخي فيما يخص (العصور الوسطى) فهي تكمن في ظهور المقاومة لمحاولات إعادة البناء التاريخي (تنتاتيف دو لا ريكومبوزيسيون) tentative de la recomposition : فمنذ بضعة عشرات من السنين ظهرت بعض الأعمال لهنري إيرينيه مارو Henri Irénée Marrou ثم لبيتر براون Peter Brown وغيرها لتبني مرحلة جديدة غير قابلة للتغيير هي " التاريخ القديم المتأخر" (لانتيكيتيه تارديف) L'Antiquité tardive . إلا أن المؤسسة الجامعية أدخلتها ضمن التاريخ القديم . و أعتبرت العصور الوسطى موجودة و متميزة و هذا يعني فشل محاولة إلغائها و فشل فكرة إدخالها ضمن التاريخ القديم و التأكيد على وجودها رغم إختلاف الحدود الزمنية المعتمدة من المؤرخين). (و هو نفس المنطق و المصير) فيما يخص العصور الوسطى والإعتبارات القديمة للنهضة الايطالية المبكرة . و ما ظهر في المقابل في الولايات المتحدة من آراء للجمع بين العصور الوسطى المتأخرة و عصر النهضة (إن هذه الآراء تتعلق بالرغبة في ربط الماضي الوطني والعصور الوسطى الأوروبية) . لكن ذلك لم يزعزع الألفية المتمثلة في العصور الوسطى (ليمثل ذلك فشلا آخر في الغاء هذه الفترة).

إن هذا الثبات (الإتفاق) فيما يخص التقسيم التاريخي لا يمثل أي مشكلة حين يكون الموضوع هو (العصور الوسطى) والذي يحظى بإتفاق مؤسسي . إلا أن إمتداده الجغرافي يفتح الباب أمام أسئلة كبيرة. بمعنى أن

---

[1] LE GOFF J., La civilisation de l'Occident médiéval, Paris, Arthaud, 1977, 704 p. (première édition 1964).

موضوع التحقيب التاريخي هو موضوع متفق عليه بين المؤرخين و المؤسسات التعليمية و خصوصا الجامعات و التي لا تختلف في وجود فترة العصور الوسطى المتميزة بالكثير من الخصوصية والتي تجعل من الضروري دراستها و التعمق فيها بل و الدفاع عنها. إلا ان هذا الإتفاق بين المؤسسات حول الفضاء الزمني للفترة المذكورة ليس بنفس المستوى حينما نتحدث عن الفضاء الجغرافي. ففي إطار ضيق ليس للعصور الوسطى دلالة منطقية سوى في أوروبا الغربية. فمن البديهي أن ننظر إلى فكرة وجود عصور وسطى مالينيزية mélanisienأو هندية amérindien على إنها فكرة منافية للمنطق (آبسورد) absurde ؛ كما أن الحديث عن اليابان في العصور الوسطى يمكن أن يأخذنا إلى مقارنة مغرية , غير مجدية وخطيرة. بالإضافة إلى ذلك وعلى الرغم من القرب من الغرب الوسيط فإننا نتردد في الحديث عن عصور وسطى بيزنطية أو إسلامية . إن الدراسات التحليلية التاريخية المعاصرة ترى هذه الحصرية في دلالة مصطلح (العصور الوسطى) مبررة بأهلية التوجهات التي تعتبر مهيمنة (دومينانت) dominantes في الفضاء المعتبر (محل الدراسة و المقصود به الغرب الأوروبي) [1].

إن المناطقية " الانحصار في منطقة" في التقسيم التاريخي يقودنا إذاً إلى السؤال عن العصور الوسطى كظرفية تاريخية طويلة matricielle في إطار تاريخي كبير : فالعصور الوسطى تعرف على أنها فترة تكوين وبناء أوروبا المنافسة ، مهد الإنتاج الصناعي والمعاملات العامة (التبادلات). فمع استثناء بعض النجاحات المتفرقة لبعض الثقافات الأخرى [2] لا يوجد أي فضاء زمني آخر (غير العصور الوسطى) متميز بهذا الدور المادي الموسوم بالتطور التدريجي لسلسلة من العوامل المختلفة والتي ساهمت في الاقتصاد العالمي : تسخير (استغلال) الطاقة الحيوانية ، الآلية ، الأجور ، استقلال الوحدة العائلية، المدنية. إن هذه المؤهلات (العوامل) التي ظهرت خلال هذا الفضاء الزمني الوسيط أعطت الإشارة لنهاية الفترة المتوسطة (و الدخول في فترة جديدة هي عصر النهضة أو المولد الجديد) : أما نهاية الإمبراطورية الرومانية فهي تفتح مرحلة انحلال نظام الإنتاج الرقيقي (العبودية) ، وافتتاح عالم جديد يحضر لعالمية " النموذج الأوروبي" (لا موندياليزاسيون دو مودل اوروبيان) la mondialisation du modèle européen. (كل ذلك يضاف إلى حساب العصور الوسطى كفترة غنية و متميزة في المسيرة التاريخية لأوروبا على و جه الخصوص حيث تعود جذور التقدم الأوروبي إلى الحقبة الوسيطة بحسب ما يرى المؤرخ آلان بورو).

---

[1] تجدر الإشارة كما أوردنا في متن النص إلى أن المؤرخين ينظرون إلى مرحلة العصور الوسطى كمرحلة هي أقل في شأنها من المراحل التاريخية الأخرى و الدليل هو إطلاق مصطلح عصر النهضة او المولد الجديد la Renaissance على المرحلة التي تليها. إلا أن بعض المؤرخين يعتبرون هذه المرحلة في التاريخ الأوروبي ظاهرة و مشهورة بل و مسيطرة على تاريخ الأمم الأخرى و بالتالي فهذا هو المبرر لقصر مصطلح العصور الوسطى على مرحلة من التاريخ الأوروبي فقط و هو ما لا نتفق معه.

[2] غير تلك التي تنتمي إلى العصور الوسطى وإلى غرب أوروبا بالتحديد.

إن غنى هذه المسار الخاص بأوربا المركزية يعتمد في جزء منه على أنها تتقبل مختلف التجارب الإيديولوجية للتاريخ، والتي تكون أحيانا غير ملائمة (صعبة التأقلم). كما أن الفضاء الزمني للتقدم الاقتصادي يتماشى مع مصير المسيحية اللاتينية ؛ حيث أن الاقتصاد الكاثوليكي للسلام وجد نفسه يجتمع مع فلسفات التاريخ الروحية كهردر Herder[1] و هيجل Hegel[2] أو مع الماركسيين (حيث أن مبدأ التراكم الأصلي للثروة يمكن أن يسجل بشكل كامل في بناء الإقطاع كما كان معمولا به أساساً في العصور الوسطى) يمعنى أن هذا التوجه و هذه الظاهرة اخذت اصولها من العصور الوسطى و هذا يعكس تأثير هذه الفترة على ما بعدها في الكثير من مناحي الحياة التي أخذت أساسياتها من تلك الفترة . حيث امتزجت الكثير من العوامل و المتناقضات لتكون اوروبا الحديثة . و هذه الدلالة الايجابية للعصور الوسطى المرفوعة خصوصاً بواسطة مؤرخي العصور الوسطى تطرح –بطبيعة الحال - على أساس أنها جواب على الفكرة القائلة بعدم الأهلية (الإنتقاص من شأن هذه الفترة) والتي هي أساس المصطلح (العصور الوسطى) منذ القرن الـ 15 م والـ 16م والتي تنتشر أو تظهر في رأي العامة ، حيث إن مصطلح " الوسطى" أو " الوسيط" يتضمن فكرة البربرية وعدم النظام.

هذه الخطة المهيمنة في الوسط الجامعي المعاصر (و التي تعطي أهمية بالغة لفترة العصور الوسطى خصوصا في المسار التاريخي لأوروبا) تظهر مهمة وضعيفة في آن واحد : فهي مهمة من حيث الواقعية التي تحملها : فالكثير من أدوات الفتح لأوروبا المنافسة والمنتجة تم ظهورها في العصور الوسطى. إلا أن النسبية في خصوصية العصور الوسطى يمكن أن تخفي الخصوصية لهذا الفضاء الزمني الوسيط : (و المتميز) بوجود نظام إنتاجي بدون شك فريد في التاريخ العالمي مميز بفلاحة " حرة" (ليبر) libre أو " نصف حرة" (سومي ليبر) semi- libre محكومة بطبقة من الاستقراطية الحربية والتي تستقطع " أجرة"، أو بكنيسة متورطة كذلك في السيطرة الثقافية على الشعوب وكذلك في البناء المالي. أضف إلى ذلك أن بناء (أو تطور) الدستور إلى ما يسمى بالدولة الحديثة يأخذ أصوله بدون شك من النظام الذي نفضل تسميته بـ " الاماري"

[1] هردر، يوهان جوتفريد فون (1744)م -1803 هو أحد الكتاب والنقاد والفلاسفة الألمان الأكثر أصالة وتنوعًا. ويمكن أن يلمس تأثيره العميق على العلوم الإنسانية حاليًا. وقد ألهم جوته وكُتَّاب حركة العاصفة والجهد الألمانية الآخرين بأفكار جديدة في الشعر والفن واللغة والدين النصراني والتاريخ. واصل هردر جهود جوتهولد ليسينج في محاولة تحرير الكتاب الألمان من تقليد الكلاسيكية الفرنسية، اعتمادًا على اليونانيين القدامى. وكان يرى أن أعمال شكسبير وأوسيان والشعراء العبريين والأغاني الشعبية تتساوى مع أعمال الإغريق .وكونت ترجماته لشكسبير وأغاني العديد من الأمم نماذج لترجمات الرومانسيين الألمان الذين تبعوه. وقد أسهم عمله أفكار لفلسفة التاريخ (1784-1791م) بنظريات مهمة عن تطور الحضارة. وقد أوضح أن التطور الثقافي في جزء من تطور الطبيعة، أكثر من كونه تعبيرًا عن الرغبة الحرة العقلانية للبشر .وُلِدَ هردر في مورونجن، شرقي بروسيا، ابنًا لمدرس فقير. وفي جامعة كونيجسبرج، درس اللاهوت والفلسفة. وقد كان إيمانويل كانط أحد مدرسيه هناك. وبعد أربع سنوات ناجحة عمل فيها واعظًا ومدرسًا في ريجا وروسيا، رحل هردر عبر أوروبا. وفي ستراسبورج، قابل جوته، وأصبحا صديقين. ومن خلال تأثير جوته، اختير هردر مديرًا عامًا للكنائس وواعظ محكمة في فيمار 1776م.

[2] جورج ويلهلم فريدريك هيغل (بالإنجليزية Georg Wilhelm Friedrich Hegel) (27 أغسطس 1770 — 14 نوفمبر 1831م) هو فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت فورتيمبيرغ، في المنطقة الجنوبية الغربيةِ من ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

عن " الإقطاعي". (كما تجدر الإشارة) إلى إن من المهم وضع خط تحت فكرة أن عصر النهضة هو بمثابة الحد الفاصل أو بمثابة العودة إلى بناء أسطورة بهدف ايدولوجي (مما أعاق بشكل كبير أي تقدم لأي تاريخ للعلوم في العصور الوسطى) و الذي يعني أن غياب الإنتاج الفكري في العصور الوسطى شكل شللا أو ركودا فكريا و علميا في أوروبا مما كون حاجة في تحفيز العقل الأوروبي و ذلك بظهور النظريات و الأفكار و المدارس الفنية بل و الأساطير و غيرها و التي تحكي الماضي و ضرورة العودة إليه للخروج من فترة العصور الوسطى. كما أنه من المهم التمييز بين العمل والقيمة : (حيث) يمكن أن نحكم أن عالمية الإنتاج (الثورة الصناعية في العالم) كانت كارثية أو غير إنسانية (كونها قامت مقابل حياة الفرد) بدون رفض الأسس التي قامت عليها والتي تعود إلى العصور الوسطى (و التي يمكن أن نربطها ثانية بالعبودية و الإستغلال للفرد و الإقطاع) وذلك دون التقليل من أهمية خصوصية تاريخ العصور الوسطى.

إن سؤال الرفض الإيديولوجي المتعلق بالإنحصار في التحليل على وجهة النظر الأوروبية (أوروبيوسنتريزم) européocentrisme (ونعني بذلك قلة الدراسات المتعلقة بالعصور الوسطى في غير الجامعات الأوروبية) و بالتالي رفض حقبة العصور الوسطى هو موضوع يطرح بشكل جاد في الجامعات الأمريكية ، حيث إن التراجع في الدراسات الخاصة بالعصور الوسطى منذ عشرين عاماً واضح ومقلق. ففي خضم تعدد العلوم ونعني بذلك هذه الحركة التي يمكن تسميتها بسياسة الهوية حيث تتولى الأبحاث و الدراسات تحديد الأصول المفترضة الثقافية أو العرقية للشعوب الحالية ، نجد أن الغرب الوسيط لا يمثل سوى جزءاً بسيطاً محكوماً عليه (مدان) بسبب قرابته مع زعماء أمريكا الاستعمارية والمستعمرات (مما يستوجب عدم إعطائه أهمية في البحث و الدراسة و الإلتفات لدراسة الهوية الأمريكية و جذورها. وهو عكس التوجه السائد في أوروبا المهتمة بالعصر الوسيط).

علاوة على هذا الضعف المؤسسي (في فرض فكرة العصور الوسطى على عموم مراكز الأبحاث و ظهور مثل هذه الإتجاهات التي ترى فيها عدم الأهلية للدراسة خصوصا في أمريكا) تظهر مشكلة أخرى تتمثل في فكرة حصر العصور الوسطى على الغرب اللاتيني ، اعتماداً على تفرد دوره في التاريخ العالمي . (كون مثل هذا التوجه) يحمل بعض الموانع والإعوجاجات : فلو أخذنا مثلاً تاريخ الفلسفة في العصور الوسطى ، سيكون من الواضح أن إخراج الفكر العربي ، اليهودي ، البيزنطي سيقودنا إلى تناقض ، وذلك لأن التداخل في هذا المجال بين هذه الثقافات كان حقيقة ؛ إلا أن هذا التداخل كان مجهولاً خلال عدد من القرون. إلا أن المجتمعات الإسلامية لا تملك شيئاً " وسيطاً " لا في بنائها(لور ستروكتور) leur structure ولا في ما آلت إليه (لور

دوفينير) leur devenir[1]. فيتوجب إذا الوصول إلى فكرة أن " العصور الوسطى" كذات هي فضاء جغرافي - زمني spatio-temporelle محمل بأحداث مختلفة ؛ بالإضافة إلى ذلك فان خطة التطور(التاريخي) تسهل وبشكل كبير(مهني) outrageusement الحقيقة وذلك بوصفها في إطار الحاجة في التدرج في أي تطور : وعليه فان الفترة الطويلة الواقعة بين سقوط روماً وبداية النظام الإماري هي الفترة التي شهدت ظهورالإقطاعية , و هو تطور تاريخي ملئ بالتناقضات و التعقيدات و الغموض كما يدل على ذلك الصراع الأخير الذي حدث بين معارضي النظام الإقطاعي ومؤيديه (و على الرغم من أن تخصيص فترة العصر الوسيط على التاريخ الأوروبي يحمل بعض الأخطاء حسب آلان بورو فنفس المؤرخ يجزم بهذا التوجه) .

و بالعودة إلى ظهور المصطلح فإن هذه الإرادة في خلق خطوات أو نقاط واضحة هي التي أعطت مكاناً بين القرن السادس عشر والثامن عشر الميلاديين لمصطلح العصور الوسطى مبررا بظهور تغيرات عصر النهضة (رينيسانس) Renaissance. (كما) إن علماء اللغة قد حددوا منذ زمن طويل أزمنة ظهور المصطلحات مثل "media tempestas, medium aevum, media antiquitas " إلخ ،ميديا تمبيستاس – ميديوم آيفيوم - ميديا انتيكيتاس, وعادة ما ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي[2] Giovanni Andrea Bussi ، قس اليريا Aleria كأول من استعمل التعبير media tempestas ميديا تمبستاس منذ 1469م وذلك في مدح لـ نيكولاس دو كويس[3] Nicolas de Cues وضعه في مقدمته ل Apulée[4] آبوليه. ولكن في الحقيقة أن هذا التعبير لا يشير إلى أي شيء سوى ماضٍ قريبٍ مقارنة بماضٍ أكثر بعداً. إن الخلق الحقيقي المتعلق بالمصطلحات " التصورات" لا يمكن أن يحدد بالكلمات وإذا أردنا التاريخ لها فلا يجب علينا الذهاب ابعد من 1550م : في هذا التاريخ يستعمل فساريVasari[5] في حياة أروع الرسامين (في دي بلوس اكسلان بانتر)

Vies des plus excellents Peintres مصطلح rinas cita ريناس سيتا (renaissance) للدلالة على إتجاه مسيرة للعودة إلى جمال العصور القديمة اليونانية و اللاتينية و التي يصعد بها إلى جيوتو

[1] نود الإشارة هنا إلى أننا لا نتفق مع المؤرخ Alain BOUREAU كون مصطلح العصور الوسطى لا يدل على ذات و لا يقتصر على أمة بعينها و إنما يدل على فترة من عمر البشرية و بالتاي يمكن ان نطلقه على تاريخ كل الأمم دون إستثناء. وتجدر الإشارة كذلك إلى أننا قد أفردنا محورا في هذا البحث يناقش دلالة المصطلح و ظهوره في الكتابة العربية.

[2] اندريا بوسي (1417- 1475) اسقف أليريا من 1469 وكان المحرر الرئيسي للكثير من النصوص الكلاسيكية و بفضله ظهرت الطبعات الأولى للكثير من الكتب القديمة prefacebully pulpit حيث شغل العديد من الاعمال التي ساعدته على نشر الكتب فقد كان من 1458 حتي 1464 سكرتيرا في روما حيث ساعد سيده في تحرير مخطوطة من القرن التاسع للOpuscula وغيرها من اعمال أبوليوس . من 1468 بوسي كان رئيس تحرير لدار الطباعة للprototypographers. كما أنه يعزى إليه كأول من نحت مصطلح media tempestats مشيرا إلى العصور الوسطى.

[3] نيكولاس دو كويس (1401 - 1464) مفكر الماني و احد رجال الكنيسة من اواخر العصور الوسطى. و قد عمل جيوفاني اندريا بوسي في مكتبة الفاتيكان حيث كان سكرتيرا ل نيكولاس دو كويس.

[4] نشر في البندقية عام 1483 م.

[5] جورجيو فساري 1511 -1574 م كان كاتبا و رساما و مؤرخا و مهندسا معماريا حيث يعتبر ليوم الأساس الأيديولوجي لفنون تاريخية الكتابة.

و سيمابو Giotto et Cimabue[1]. إننا هنا لم نجد كذلك تقسيم أو تحقيب تاريخي نسبي وإنما نجد طريقة محددة للتطور: يقيم الحاضر على أساس أنه عودة إلى العصر القديم المجيد، وذلك بعد ماضٍ مظلم وبربري يعرف ببساطة على انه حاجز أو فترة انتقالية (و هذا ما يحمله مسمى عصر النهضة او المولد الجديد). إن التطور الأدبي الرجعي " المنعكس" لفكرة عصر النهضة يأتي إذا من إرادة لتبرير ذاتي من دائرة من الرسامين والأدباء في القرن 16م. بعد ذلك بقليل قام فرانسيس باكون Francis Bacon[2] والذي بنى مسيرته في تحقيرالفلسفة الدينية vilipendant scolastique قام بوضع نظرية لتعاقب عودة العلوم التي تتخللها فترات طويلة من الجهل media mundi tempora ميديا موندي تمبورا وبالتالي فالعصور الوسطى لم تكن سوى المرحلة الأخيرة من تلك الفترات الانتقالية المظلمة.

أما الشيء الأخر في هذه المسيرة الزمنية والمتعلقة بالتطور التلقائي الالهي فهو يوجد تقريباً في نفس الفترة التاريخية وذلك في تكوين التاريخ البروتستاني بنفس طريقة تطوره حول فلاكيوس اليريكوس Flaccius Illyricus[3] (Mathias Vlacie) et des centuriateurs de Magdebourg مؤلف التاريخ الكنسي Histoire ecclésiatique هيستوار اكليسياتك والمنشور في Bâle بين 1559 و 1574م. ومن الأشياء الجديدة التي جاء بها هذا العمل هو تقسيم مادة التاريخ المسيحي إلى مئات من السنين او قرون (سنتوريس) "centuries" وهو تقسيم لم يكن معروفاً من قبل. تسرد الأخبار حتى حوالي عام 1300 فقط ، ولكنها تعتمد على تقسيم "مثالثة" tripartition (أي أن أزمنة المسيحية مقسمة بين) : " التاريخ الكنسي القديم Antiquité de l'Eglise و حتى نهاية القرن 7م ، تاريخ متوسط âge intermédiaire أو Intermedia aetas ، مستمراً من القرن 8 إلى 1517م ثم فترة معاصرة "contemporanéité" غير محددة. كما أنه من الواضح جداً أن لدينا تقسيمات وموضوعات أخرى لمسيرة نهضة أسسها إصلاحات لوثر[4] dissidence de Luther : الفترة المتوسطة تطابق مرحلة ضلالة الكنيسة (خروجها) " fourvoiement de l'église

[1] كان جيوتو قائد المصورين الايطاليين في القرن الرابع عشر الميلادي اضافة لكونه مهندسا..فقد بنى برج الاجراس في فلورنسا..ومن اشهر اعماله صورة العذراء اذ رسمها بالوان الفريسكو في احد كنائس فلورنسا..كانت صورة العذراء تنبض بالروح والحركة وجعلها ذات نزعة واقعية انسانية بدل من النزعة الرمزية. وجمع بين حسن الرواية وقوة التأليف وكمال الاداء..وهو اول من ابتدع المشاهد الخلفية بلوحات التصوير. كان يختار شخصياته من افراد الشعب البسطاء الذين لايعرفون تصنع الوقار والنبل. ولم يكن يمتلك خبرة بقواعد المنظور الاانه كان متحررا من الجمود نحو الحركة في لوحاته. وقد عني بأثارة الاحساس الملمسي لدى المشاهد وبأظهار الحركة في لوحاته.والاهتمام بالظل والضوء.ويعتبر مؤسس الواقعية في الفن..وهو مؤسس مدرسة فلورنسا لتصوير.

[2] فرانسيس بيكون Francis Bacon (لندن ، 22 يناير 1561 - هايجيت ، شمال لندن ، 9 ابريل 1626) ، فيلسوف و اديب انجليزى. مؤسس النزعه التجريبيه الحديثه فى العلم و الفلسفه. الف أكثر من كتاب منها كتاب " نوفوم اورجانوم " (الوسيله الجديده) Novum Organum ، و عارض فيه منطق اريسطو و منهجه فى القياس. اسس دعائم المنهج الاستقرائى الحديث و نادى بالرجوع للحقايق الطبيعيه من غير محاولة استباقها بالعقل او الخيال.

[3] Flaccius Illyricus (1520-1575) مصلح بروستانتي هو مؤلف Histoire ecclésiastique باللاتينية و المعروف ب Centuries de Magdebourg

[4] مارتن لوثر (1546 -1483) (Martin Lutherم) مصلح ديني مسيحي ألماني شهير، يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي.

" مع نظام الملكية الكارولنجية ، المتميزة بصناعة الهبات الكاذبة لقسطنطين الأول [1]la fausse donation de Constantin وذلك بحسب معطيات لورنزو فالا [2]Lorenzo Valla في القرن الماضي. هذا التقسيم المتغير للتاريخ périodisation palinodique الذي يعود إلى الوراء عرف بريقاً قوياً في القرن 16م بسبب ترابط الرؤى الثقافية و الدينية و لكنه كان مبنيا على فترة طويلة , فهو يأخذ جذوره من بناء التاريخ الديني théologie de l'histoire في القرن 8 م. كما أنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى نقطتين في التطور الذي حصل في موضوع ظهور فكرة التقسيم التاريخ أيا كان مبتغاها و هدفها حتي ظهور تواريخ العصور الوسطى. فمن جهة و منذ القرن الثالث عشر الميلادي أخذت بعض الجماعات الفرانسيكانية franciscains – وهي الجماعات التي ظهر فيها المؤلف المؤثر للقديس بونافنتيور [3]saint Bonaventure – على عاتقها تركة ميراث جزشيو دو فلور [4]Joachim de Flore وتقسم تاريخ العالم إلى عصور âges , تحتوي على فترات تحمل معانٍ في إطار تاريخ السلام أو التاريخ الديني histoire de salut. فالزمن الحاضر كان ينظر إليه أصلا كفرصة ممكنة للعودة السعيدة إلى الكمال السابق ، وهو زمن التاريخ الرسولي temps apostoliques. و لكن ذلك لم يكن سوى بداية النظر إلى التاريخ كمراحل مختلفة و لكنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ الديني فأي مرحلة من التاريخ سواء كانت إنتكاسة أو تقدما ما هي سوى ترجمة للقرب أو البعد من الكمال المطلوب و الذي كان في العصور السابقة. أما الجهة الأخرى لهذا التغيير (فكانت متأخرة و لكنها تتمثل في الظهور الحقيقي للتواريخ الأولى الخاصة بالعصور الوسطى و التي ظهرت في نهاية القرن 17م و (ما يميزها هو كونها) أخذت في بمتابعة أسرار النهضة الدينية والثقافية ؛ وهي حالة المجلد الثاني من التاريخ العالمي للوثرية لكريستوف كيلر histoire universelle du luthérien Christophe Keler المسمى ليستوريا ميدي آيفي آ تمبوري كونستانتين ماجني آد كونستانتينوبليم آ تورسيس كابتام : l'Historia Meddi Aevi a tempore Constantin Magni ad Constantinopolim a Turcis captam , والذي ظهر عام 1688م .حيث أن التقسيم التاريخي إلى فترات – في هذا المؤلف - يطابق تماماً ما يسمى اليوم (ميديفيسم) medievisme و يعني التخصص في دراسة العصور الوسطى , إلا أن مبررات هذا التقسيم مأخوذة من مرجعيات القرن 16م (و نعني بذلك التاريخ الكنسي أو الديني).

---

[1] هبات قسطنطين (في اللاتينية Donatio Constantini) هي كذبة تقول أن قسطنطين الأول أعطى بموجبها البابا سلفستر Sylvestre السلطة على الكنائس الشرقية primauté sur les Églises d'Orient بينما يحتفظ الأمبراطور l'imperium بالسلطة عل الجزء الغربي .

[2] لورنزو فالا الايطالي الذي فند ادعاء الكنيسة بأنها تملك كل أراضي ايطاليا هبة من الأمبراطور.

[3] JEAN FIDANZA مشهور تحت إسم SAINT BONAVENTURE يعرف أيضا بدكتور الكنيسة عاش بين 1221 -1274م , عمل كمدرس للاهوت في باريس.

[4] Joachim de Flore لاهوتي كاثوليكي ولد في كالابر في إيطاليا في حدود 1130 م و مات في 1202.

متزامناً مع ذلك ظهرت تشكيلة أخرى للتحقيب الإيديولوجي حيث توجد فكرة العودة دون الإندثار (بمعنى أننا يمكن أن نفسر مسار التاريخ بما يشبه الموجة في صعود الحضارات و هبوطها لكنها لا تندثر) حيث ساعدت في الإتجاه نحو تطور اكثر تاريخية و قد بنيت على حلقات أخرى . كما تجدر الإشارة إلى أنه و خلال القرن 16 و17م ظهر في وسط القضاة ورجال القانون في فرنسا، ايطاليا و انجلترا الاهتمام بالإقطاع féodalité , (مما يشكل إهتماما بإحدى أهم سمات العصر الوسيط) لكن هذا الاهتمام كان له اهتمامات سياسية مباشرة, -هنا - حيث حاول المدافعون عن هذا النظام تشريع الحق الإقطاعي le droit féodal ، و في نفس الوقت فقد اخذ بعض المؤلفين المقربين من النظام الملكي أو الإمارات المركزية واجب توضيح أن النظام الإقطاعي يمثل فساد للقانون الروماني كما أنه كان واقعاً بربرياً امتد بدون وجه حق خلال العصر الحديث. ولكن الإهتمام المعطى لآليات منح الأرض والإنتاج والإيجار كان بإمكانه المساهمة في خلق اهتمام في نهاية الأمر إيجابي للفترة الانتقالية (المتوسطة) intermédiaire.

إن النواة الحقيقية للتقسيم التاريخي تعود إلى القرنين 17م و 18م و ذلك على هامش المسيرة التاريخية العامة والتي تركزت حول سؤال النظام الإقطاعي أو حول الأصل الغالي أو الجرماني للأمة الفرنسية, حيث بدأت في إعطاء النواه لتقسيم تاريخي مبني على الترتيب الزمني ديكوباج كرونولوجيك découpage chronologique ، حيث جاءت الكثير من النصوص و العلوم عن العصور الوسطى بواسطة معارف رجال الكنيسة , سواء من جهة اليسوعيين[1] Jésuites bollandistes المرتبطين بفكرة إعادة بناء النصوص الدينية restitution des textes hagiographiques أو لدى البينيدكتيين les[2] Bénédictins (داشري d'Achery , مابيلون Mabillon , مارتين Martène , بوكيت Bouquet و الذين يجب أن نضيف إليهم العلماني لو نين دو تيلمونت Le Nain de Tillemont).

في بداية القرن 19م وفي كل أوربا ، كان بالإمكان الحديث عن تميز العصور الوسطى, حيث إن الحركات الفكرية و الفنية التي تطورت بإتجاه إخضاع القرون الماضية لما يتقبله العقل و القوانين[3] le romantisme عكست هذه الحركات مؤهلات العصور الوسطى و بالتالي أصبحت فكرتها أكثر نضجا, و مما يمكن ذكره من تلك المميزات أسلوب شاعر الربابة troubadour حيث كانت كلمة قوطي gothique المشيرة للبربرية حتى الآن، بدأت في الإشارة إلى إتمام الفن آكومبليسمو دو لار

[1] اليسوعيون (و باللاتينية Societas Iesu جماعة يسوع) هي رهبنة كاثوليكية أسسها إغناطيوس دي لويولا عام 1540م يعرف عضو هذه الجماعة باليسوعي نسبة ليسوع المسيح.

[2] تشير هذه التسمية إلى طائفة من المسيحية المرتبطة ب سان بونوا saint Benoît الذي حدد اسلوب الحياة الكنسية منذ القرن السادس الميلادي . يقضون أوقاتهم بين الصلاة و قراءة كلام الرب كما يقولون و يعيشون في ظل أب داخل الكبيسة.

[3] مجموعة من الحركات الفكرية و الفنية التي تطورت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر و تهدف إلى إخضاع المعارف للعقل على عكس القرون السابقة التي ساد فيها التقليد.

accomplissement de l'art. ولكن الفكرة تذهب بعيداً عن مجرد تلك التغيرات في النمط : ففي ألمانيا كان عالم العصور الوسطى مليء بالتوجهات القديمة و الأصلية لأمة بنت نفسها ضد تأثيرات عصر الأنوار. حيث ظهرت الثقافة الجيرمانية العميقة كولتور Kultur ، والمتناقض مع سطحية الحضارة سوبيرفيسياليتي دو لا سيفيليزاسيو la superficialité de civilization . أما في فرنسا وبعد اهتزازات الثورة والإمبراطورية، فإن العصور الوسطى تمثل حتى 1848م أرضية تراضٍ بين مناصري الأحرار والملكية libéraux et monarchists : إن مرحلة التجديد وضعت على عاتقها توضيح الاستمرارية التي جمعت منذ القرن 12م بعض المسلمات أو الأسس العامة des Communes ، النظام الملكي و الدولة الثالثة le régime monarchique et le tiers état. فمنذ 1789م لم تعد تظهر كما لو كانت قطيعة ولكن كمرحلةٍ انتهت عام 1793م . ليس من المصادفة أن لويس الثامن عشرLouis XVIII[1] يطلق اسم " القانون" لو شارت le charte على النص القانوني le texte constitutionnel عام 1814م والذي جدد الملكية.

أما القاعدة المؤسسية و القوية لدراسات العصور الوسطى فكانت مع الانطلاقة الحقيقة لمدرسة القوانين إيكول دي شارت école des chartes في 1829م[2]. إلا أنه من المهم القول إن هذا الاختلاف الايديولجي والتناقض لم يدم ؛ فبعد ثورة عام 1848م، ولد إشتداد الصراعات بين الجمهوريين والمحافظين عودة الخطط المعارضة schémas mutationnistes. و بالتالي فإن العصور الوسطى أدخلت بواسطة التقدميين progressistes ضمن الزمن الطويل للنظام القديم l'ancien régime[3] المنتهي عام 1789م (و نعني به النظام الملكي). و مع هذا التطور فقد شهدت أوروبا تكوين تحالفات عديدة تحت أشكال مختلفة بين التاج والكنسية، حيث كان الكاثوليكية الرومانية تعيد تجذير نفسها في فضاءات كانت لفترات طويلة خارجة عن المسيحية ديكريستيانيزيه déchristianisées ، في الوقت الذي كان فيه معارضو الكهنوت السياسي (سلطة الكنيسة) l'anticléricalisme يدينون الظلامية l'obscurantisme وعدم تسامح المسيحية في العصور الوسطى l'intolérance du christianisme médiéval . هذا الخلط المبالغ فيه (الوصمة) فيما يخص العصور الوسطى لوحظ كذلك في الولايات المتحدة : فكتاب لا سوم La somme للمؤلف هنري شارل ليا

---

[1] لويس الثامن عشر (17 نوفمبر 1755 – 16 سبتمبر 1824) ملك فرنسا ونافار. واخ لويس السادس عشر. وعم لويس السابع عشر. حكم المملكة من 1814حتى موته في عام 1824.

[2] المدرسة الملكية لدراسة القوانين هي مدرسة عريقة متخصصة في دراسة القوانين تأسست عام 1821 بأمر من لويس الرابع عشر. لدراسة العلوم المرتبطة بالتاريخ حيث سعت لتكوين متخصصين في تاريخ العصور الوسطى.

[3] النظام القديم Ancien Régime يشير أساسا إلى الأرستقراطية التي تميز بها نظام المجتمع الفرنسي ، والسياسة التي أنشئت في فرنسا تحت فالوا و بوربون سلالات من القرن 14 الى القرن 18م. وكان أطيح به من قبل الثورة الفرنسية . النظام القديم يعتمد على ثلاث ركائز هي : النظام الملكي (الملك المطلق و الحق الالهي) ، ورجال الدين ، والطبقة الأرستقراطية. Society was divided into three Estates of the realm : the First Estate , Catholic clergy; the Second Estate , the nobility; and the Third Estate , the rest of the population including what we know today as the middle class and the pesants. [2

Henry Charles Lea حول محاكم التفتيش (1886) و الذي ترجم إلى الفرنسية، قد ساهم بشكل كبير في الأسطورة المظلمة للعصور الوسطى حتى يومنا هذا. في حين أن روما من جهتها حاولت الانتهاء من الاستهزاء بالفلسفة الدينية la scolastique منذ العصر الإنساني ومنذ بداية الإصلاح . يعني أنها حاولت تجميل سياسة الكنيسة و ممارساتها خلال العصر الوسيط من خلال دراسة هذه الحقبة و إبراز ما فيها من اهمية.

و مع نهاية القرن التاسع عشرو بداية العشرين ظهرت أولى المدارس التاريخية , ففي عام 1879م نشر البابا ليون الثالث عشر[1] Léon XIII منشورا انسيكليك encyclique بعنوان Aeterni Patris[2] آترني باتريس والذي كان من المنتظر أن يعطي مساهمة عملية في إعادة البناء الديني لأوربا بالدعوة إلى العودة إلى الفلسفة المسيحية la philosophie thomiste. هذه الدعوة الدينية التي أعلنت المسيحية الجديدة لو نيو -ثوميست le néo-thomiste في القرن العشرين أظهرت العديد من المدارس التاريخية entreprises historiennes. كما أن وضع النظام الحديث للجامعات والمعاهد البحثية (انظر مثلا لي مونومينتا جيرماناي les Monumenta Germaniae)[3] قد انتج معرفة تزيد الصورة العامة للمنشئآت العلمية بعدا (بمعنى تأصيل النظرة العميقة في دراسة الأحداث التاريخية و منها العصور الوسطى و بالتالي ف) : ليس من المصادفة أن يوجد في اللغة الفرنسية مصطلحات moyenâgeux مويان آجو بمعنى (يعود أو يأتي من العصور الوسطى) للدلالة على أسطورة مظلمة و médiéviste ميديفيست بمعنى (متخصص في العصر الوسيط) ، للدلالة على التخصص العلمي. فكلاهما قد ظهرت في التاريخ المعاصر بين 1865 و1867م. (و أخيرا نشير الى أنه) في بداية الألفية الثالثة، و على الرغم من التقدم الكبير في دراسة العصور الوسطى، فإنها مازالت أكثر من أي مجال تاريخي أخر محل وجهة نظر.

❖ -المحور الرابع : ظهور مصطلح العصور الوسطى في أوروبا و إنتقاله إلى الكتابة التاريخية العربية :

مما لا شك فيه أن ظهور فكرة التقسيم التاريخي قد سبقت ظهور المصطلحات التي تشير إلى الحقب المعينة المتفق عليها بين المؤرخين و المؤسسات التعليمية و منها حقبة العصور الوسطى. و كما جاء في مقال المؤرخ آلان بورو فإن فكرة التحقيب أو التقسيم قد بدأت بشكل بسيط جدا و تطورت خلال قرون حتي ظهرت المؤلفات الخاصة بهذه الحقبة و اصبحت معروفة و محددة من قبل المؤسسات العلمية. و قد بدأت بوادرها البسيطة منذ القرن الثالث عشر الميلادي و ذلك إعتمادا على التاريخ الدينى المرتبط برؤي تعود إلى القرن

[1] البابا ليون الثالث عشر تولى البابوية بين (1878م -1903م).

[2] هي عبارة عن منشور او رسالة كتبها الباب ليون الثالث عشر حول فلسفة المسيحية عام 1879م الهدف منها دراسة فلسفة القديس Thomas d'Aquin (توماس داكوين ولد فى 1225/1224 في إيطاليا ، توفي في 7 مارس 1274 .) و كانت البداية لما يسمى néo-thomisme. و تعني فلسفة القديس توماس الجديدة.

[3] هو معهد ابحاث الماني متخصص في دراسة العصور الوسطى. تم تأسيسه عام 1819 بواسطة البارون (البارون لقب نبيل ارستقراطي) فم أشتاين le baron vom Stein و مقره ميونخ منذ 1949.

الثامن الميلادي, علما أن هذه البدايات لم تكن تحمل فكرة التحقيب بقدر ما كانت تحتوي عل فكرة فهم الحاضر و مقارنته بالماضي واعتبار الحاضر فرصة للعودة إلى ذلك الماضي المثالي , حيث ظهرت خلال القرن الثالث عشر الميلادي بعض الجماعات الفرانسيكانية التي اخذت على عاتقها ميراث القديس بونافنتيور Bonaventure[1]و الذي يحمل فكرة تقسيم تاريخ العالم إلى فترات تحمل معان و لكن في إطار التاريخ المسيحي , فالزمن الحاضر كان ينظر إليه أصلا كفرصة ممكنة للعودة السعيدة إلى الكمال المرتبط بالدين المسيحي و بالتالي فإن المسيرة التاريخية شبيهة بمراحل الصعود و الهبوط أو القرب و البعد عن الدين و الكمال الروحي, و ما يهمنا هنا هو بداية تبلور فكرة وجود فترات مختلفة في مسيرة التاريخ العالمي أو التاريخ الإنساني. بعد ذلك بما يقرب من قرنين ظهر تطور آخر في النظر للتاريخ و من الملاحظ أنه كان أيضا في إطار الكنيسة حيث ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي قس أليريا و الذي كان سكرتيرا كنسيا كأول من إستخدم تعبير العصر الوسيط : ميديا ايفيوم - ميديا انتيكيتاس - ميديا تمبيستاس media tempestas و medium aevum, media antiquitas و ذلك عام 1469م في كتابه Apulée[2] آبوليه, و الذي قدمه لسيده نيكولاس دو كويس Nicolas de Cues. و لكن ذلك لم يكن سوى و صفا لماض قريب مقارنة بماض أكثر بعدا, لتظل بذلك فكرة العصر الوسيط كما نتصورها غائبة و كذلك فكرة التحقيب بشكل عام و هذا بحسب ما ورد في بحث آلان بورو في قاموس العصور الوسطى[3] المترجم في المحور السابق من هذا البحث. في حين تذكر الموسوعة الرقمية أنكارتا أن فلافيو بيوندو دو فورلي Flavio Biondo de Forli الذي كان سكرتيرا كنسيا في روما ايضا قد إستعمل هذا المصطلح لأول مرة عام 1450م في كتابه باللغة الإيطالية (هيستوريوم آب انكلينا سيونى رومانوروم آمبيري ديكاديس)

[1] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953.

[2] نيكولاس دو كويس (1401 - 1464) مفكر الماني و احد رجال الكنيسة من اواخر العصور الوسطى. و قد عمل جيوفاني اندريا بوسي في مكتبة الفاتيكان حيث كان سكرتيرا ل نيكولاس دو كويس.

[3] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

Historium ab inclinatione romanorum imperii décades والذي يترجم باللغة العربية "حقب تاريخية منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية" و الذي نشر عام 1483م في البندقية, حيث يذكر المؤلف فكرة وجود مرحلة تمثل توقف التقدم وتمثل الركود الثقافي في أوروبا وهذه المرحلة وضعها بين التاريخ القديم وبدايات النهضة الأوربية الحديثة و هي إشارة إلى العصور الوسطى[1]. و بالتالي فإنه و بناء على معطيات الموسوعة فيمكننا القول إن فكرة وجود فترات تاريخية هي اكثر وضوحا لدى فورلى و الذي سبق زميله جيوفاني.

بعد ذلك بما يقرب من قرن و خلال القرن السادس عشر أستخدم الفنان فساري* عام 1550 م و صفا جديدا هو

rinas - cita[3] (ريناس - سيتا) و هي مفردة لاتينية تعتبر مرادفا لعصر النهضة أو المولد الجديد و الذي يحمل فكرة الخروج من مرحلة و الدخول في أخرى واصفا المسيرة التاريخية حينها بالعودة إلى جمال العصور القديمة اليونانية و اللاتينية و التي يصعد بها إلى Giotto et Cimabue[4] جيوتو و سيمابو** و بالتالي فمما لا شك فيه أن ذلك يشبه المولد الجديد بعد فترة من الظلام و الركود. و لكننا هنا أيضا لم نجد تقسيما أو تحقيبا تاريخيا نسبيا وإنما نجد و صفا لطريقة التطور في مسار التاريخ و نمط الحياة في أوروبا : يقيم الحاضر على أساس انه عودة إلى العصر القديم المجيد، وذلك بعد ماضٍ مظلم وبربري يعرف ببساطة على انه حاجز أو فترة انتقالية. لنستخلص من ذلك أن المفكرين كانوا يدركون ما يحدث من تغيرات في مسيرة مجتمعاتهم الأوروبية و تاريخها و كانوا يحاولون تشخيص ما يجري و تسميته إلا أن ذلك أخذ وقتا طويلا, و يمكن أن نشبه التغيرات بمراحل نمو الإنسان التي تظهر على جسمه فيحاول هو و غيره تفسيرها و تحديد الاختلاف فيما بينها و تسمية كل مرحلة و اسبابها... الخ. و في مسيرة مصطلح "العصور الوسطى" و خلال القرن السادس عشر الميلادي قام فرانسيس باكونFrancis Bacon[6] بوضع نظرية لتعاقب عودة العلوم التي تتخللها فترات طويلة من الجهل, و بالتالي فالعصور الوسطى -التي لم تنضج فكرتها و التي حاول المفكرون تفسيرها - لم تكن سوى المرحلة الأخيرة من تلك الفترات الانتقالية المظلمة. غير أن ما ظهر

---

[1] « Encyclopédie Encarta 2002-«Moyen Age

[2] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

[3] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

[4] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit.,p. 950 –953

[5] كان جيوتو قائد المصورين الايطاليين في القرن الرابع عشر الميلادي اضافة لكونه مهندسا , فقد بنى برج الاجراس في فلورنسا, ومن اشهر اعماله صورة العذراء اذ رسمها بالوان الفريسكو في احد كنائس فلورنسا. كانت صورة العذراء تنبض بالروح والحركة وجعلها ذات نزعة واقعية انسانية بدل من النزعة الرمزية. وجمع بين حسن الرواية وقوة التأليف وروعة الاداء. وهو اول من ابتدع المشاهد الخلفية بلوحات التصوير. كان يختار شخصياته من افراد الشعب البسطاء الذين لا يعرفون تصنع الوقار والنبل. ولم يكن يمتلك خبرة بقواعد المنظور الا انه كان متحررا من الجمود نحو الحركة في لوحاته. وقد عني بأثارة الاحساس الملمسي لدى المشاهد وبإظهار الحركة في لوحاته, والاهتمام بالظل والضوء و يعتبر مؤسس الواقعية في الفن, وهو مؤسس مدرسة فلورنسا لتصوير.

[6] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

خلال القرن السادس عشر لم يكن سوى إرادة لتبرير ذاتي -لما يروه من تغيرات في نمط حياة الشعوب الأوروبية - من دائرة بعض الرسامين والأدباء خلال هذا القرن , حيث حاول هؤلاء فهم مرحلة وصفوها بالمولد الجديد جاءت بعد مرحلة يمكن أن تكون شبيهة بالموت السريري لأوروبا و هو ما جاء قبل ذلك في تصور فلافيو بيوندو دو فورلي Flavio Biondo de Forli و الذي اورد فكرة الركود خلال مرحلة واقعة بين التاريخ القديم و عصر النهضة.

أما الشيء الأخر في هذه المسيرة الزمنية والمتعلقة بالتطور التلقائي الالهي للتاريخ فهو يوجد تقريباً في نفس الفترة التاريخية وذلك في تكوين التاريخ البروتستاني حيث ألف المصلح البروتستانتي فلاكيوس اليريكوس Flaccius Illyricus [1] التاريخ الكنسي Histoire ecclésiatique والذي نشر في Bâle بين 1559 و 1574م. ومن الأشياء الجديدة التي جاء بها هذا العمل هو تقسيم مادة التاريخ المسيحي إلى مئات من السنين (قرون) "centuries" وهو تقسيم لم يكن معروفاً من قبل. حيث قام المصلح فلاكيوس اليريكوس بسرد الأخبار حتى حوالي عام 1300 فقط , لكن هذا التقسيم يعتمد على تقسيم التاريخ الكنسي القديم و الذي يقسم مثالثة tripartition (أي أن أزمنة المسيحية مقسمة بين) : " التاريخ الكنسي القديم Antiquité de l'Eglise , و الذي يمتد حتى نهاية القرن 7م, تأتي بعده مرحلة تسمى بالتاريخ المتوسط âge intermédiaire أو Intermedia aetas، ويستمرً من القرن 8 إلى 1517م ثم تأتي بعد ذلك فترة معاصرة " contemporanéité " غير محددة[2]. و بطبيعة الحال إننا هنا لم نجد ظهورا لفكرة و مصطلح العصور الوسطى لكننا نجد فكرة تقسيم التاريخ إلى فترات مرجعيتها التاريخ الديني و إهتمامه فقط بالتاريخ المسيحي كمرجعية. كما أنه من الواضح جداً أن لدينا تقسيمات وموضوعات أخرى لمسيرة نهضة أسستها إصلاحات لوثر[3] dissidence de Luther : و التي تنظر إلى الفترة المتوسطة كمرحلة تطابق مرحلة ضلالة الكنيسة و خروجها مع نظام الملكية الكارولنجية " fourvoiement de l'église"، المتميزة بصناعة الهبات الكاذبة لقسطنطين الأول la fausse donation de Constantin[4] وذلك بحسب معطيات لورنزو فالا Lorenzo Valla[5] في القرن الماضي و الذي قام بدراسة و تفنيد هذه المرحلة و خصوصا الهبات التي زعم البعض بأن قسطنطين أعطاها للكنيسة و للبابا. و نعني بذلك أن الفكر اللوثري قد ميز الفترة الوسيطة كمرحلة مظلمة في تاريخ الكنيسة الفاسدة, و مرحلة فساد الكنيسة بالنسبة لهذا الفكر هي مرحلة العصور

---

[1] Flaccius Illyricus (1575- 1520) فلاكيوس اليريكوس مصلح بروستانتي هو مؤلف Histoire ecclésiastique باللاتينية و المعروف ب Centuries de Magdebourg .

[2] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

[3] مارتن لوثر (Martin Luther (1483- 1546)م) مصلح ديني مسيحي ألماني شهير، يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي.

[4] حول الهبات الكاذبة لقسطنطين الأول انظر الملاحظة رقم 60.

[5] حول لورنزو فالا أنظر الملاحظة 61.

الوسطى التي اعتبرها مرحلة متميزة عن القرون التي ستأتي ابتداء من السادس عشر و الذي ظهرت خلاله تلك الإصلاحات. و من الملاحظ أن معظم ما يجري خلال هذه الفترة من حركة فكرية هو في إطار الكنيسة و تاريخها عدا ما يجري لدى بعض الرسامين و الفنانين. كما أن هذا التقسيم المتغير للتاريخ الذي يأخذ جذوره من التاريخ الكنسي (من القرن الثامن الميلادي) قد عرف بريقاً قوياً في القرن 16م بسبب ترابط الرؤى الثقافية و الدينية في هذه الفترة كما أنه كان مبنيا على فترة طويلة مرجعيتها تاريخ الدين المسيحي .

إن التطور الحقيقي للتحقيب التاريخي قد جاء متأخرا , حيث أن هذا التطور يتمثل في الظهور الحقيقي للتواريخ الأولى الخاصة بالعصور الوسطى و التي ظهرت في نهاية القرن 17م و ما يميزها هو كونها أخذت في بمتابعة أسرار النهضة الدينية والثقافية ؛ وهي حالة المجلد الثاني من التاريخ العالمي للوثرية لمؤلفه كريستوف كيلر[1], الذي ظهر عام 1688م .حيث إن التقسيم التاريخي إلى فترات يطابق تماماً ما يسمى اليوم ميديفيسم Médiévisme و يعني التخصص في دراسة العصور الوسطى , إلا أن مبررات هذا التقسيم مأخوذة من مرجعيات القرن 16م و التي كان محور إهتمامها هو التاريخ الديني و تاريخ الكنيسة و بدايات عصر النهضة. متزامناً مع ذلك ظهرت تشكيلة أخرى للتحقيب الإيديولوجي حيث وجدت فكرة تحمل معنى تجدد الحضارات و عدم اندثارها على الرغم من الانتكاسات التي تتعرض لها او هو ما يمكن ان نسميه بالعودة دون الإندثار , و هو ما حدث بحسب هذه النظرية في أوروبا من عودة أو إنبعاث بعد فترة الركود الوسيطة. و ما يهمنا هنا هو النظر للتاريخ كمراحل و كفترات يمكن ان تتميز عن بعضها مرتبطة بحال الحضارة المعنية . كما تجدر الإشارة إلى أنه و خلال القرن 16 و17م ظهر في وسط القضاة ورجال القانون في فرنسا، ايطاليا و انجلترا الاهتمام بالإقطاع و الذي يعد اهتماما بإحدى أهم سمات العصر الوسيط و على الرغم من أن هذا الاهتمام بالإقطاع كان له اهتمامات سياسية مباشرة تخدم أغراضا محددة. ففي حين حاول المدافعون عن هذا النظام تشريع الحق الإقطاعي لمصالح معينة كانوا يرونها، أخذ بعض المؤلفين المقربين من النظام الملكي أو الإمارات المركزية واجب توضيح أن النظام الإقطاعي يمثل فسادا للقانون الروماني كما أنه كان واقعاً بربرياً إمتد بدون وجه حق خلال العصر الحديث , إلا أن هذا الإهتمام المعطى لدراسة آليات منح الأرض والإنتاج والإيجار كان بإمكانه المساهمة في خلق اهتمام في نهاية الأمر إيجابي للفترة الانتقالية (المتوسطة) كون النظام الإقطاعي هو من أهم مميزات العصور الوسطى. و بالتالي فإن القرنين ال16 و 17 الميلاديين يمثلان نقطة مهمة في التقدم نحو دراسة حقيقية لفترة العصور الوسطى.غير أن النواة الحقيقية للتقسيم التاريخي تعود إلي القرنين 17م و 18م , حيث ظهر التوجه نحو تقسيم مبني على الترتيب الزمني بمعنى أن الفترات التاريخية اصبحت اكثر وضوحا و يعود ذلك إلى النصوص و العلوم الكثيرة الخاصة بالعصور

[1] أنظر ترجمة بحث آلان بورو في المحور السابق من هذا البحث.

الوسطى و التي جاءت بواسطة معارف رجال الكنيسة , سواء من جهة اليسوعيين[1] أو البينيدكتيين[2] . أما في بداية القرن 19م فقد كان الأمر محسوما في كل أوربا فيما يتعلق بتميز العصور الوسطى, و التي اخضعت قرونها كغيرها من القرون الماضية للدراسة و البحث و بالتالي لما يتقبله العقل و القوانين , مما شكل فرصة لفهم مؤهلات هذه الحقبة الوسيطة. بل بدأ الباحثون ينظرون إليها على انها فترة غنية و رائعة تستحق الدراسة و الإحترام , حيث تطور النظر إلى كلمة قوطي gothique المشيرة للبربرية حتى الآن، لتشير إلى إتمام الفن , بل ظهر الإعتزاز بهذه الفترة كجزء من تاريخ الهوية في الثقافة الاوروبية خصوصا في ألمانيا حيث ظهرت المعاهد المتخصصة في هذه الحقبة. أما في فرنسا وبعد اهتزازات الثورة والإمبراطورية، فإن العصور الوسطى تمثل حتى 1848م أرضية تراضٍ بين مناصري الأحرار والملكية بمعني أن هذه المرحلة هي مرحلة متفقا عليها و على وجودها و تميزها و لكن دون تعصب أو انحياز . و تجدر الإشارة إلى أن عام 1829م يمثل القاعدة المؤسسية و القوية لدراسات العصور الوسطى في فرنسا و ذلك مع الإنطلاقة الحقيقة لمدرسة القوانين école des chartes[3] و التي كانت مهمتها ارشفة المؤلفات و تسهيل مهمة الباحثين و المهتمين بالفترة السابقة و تكوين متخصصين في دراسة حقبة العصور الوسطى. و على الرغم من تقدم فكرة العصور الوسطى و اتضاحها في فرنسا و النظر إليها بحيادية إلا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الآراء خصوصا بعد ثورة عام 1848م، و التي رأت وضع هذه الحقبة ضمن الزمن الطويل للنظام القديم l' ancien régime[4] المنتهي عام 1879م , و نعني به النظام الملكي الذي إنتهي بالثورة الفرنسية.

على عكس هذا التقدم فى أوروبا و المتعلق بالنظر إلى العصور الوسطى كفترة متميزة غنية بالحضارة و تستحق الدراسة و البحث, ظهرت في أمريكا آراء تخلط تاريخ العصور الوسطى بظلاميتها و بسطوة الكنيسة و محاكم التفتيش و غيرها : فكتاب La somme للمؤلف هنري شارل ليا Henry Charles Lea حول محاكم التفتيش (1886) و الذي ترجم إلى الفرنسية، قد ساهم بشكل كبير في الأسطورة المظلمة للعصور الوسطى حتى يومنا هذا. بينما في إيطاليا و خلال القرن السابع عشر و الثامن عشر و التاسع عشر فقد كان الهدف هو تحسين صورة الكنيسة و تاريخها المرتبط بسطوتها خلال القرون الوسطى و مع نهاية القرن التاسع عشرو بداية العشرين ظهرت أولى المدارس التاريخية في أوروبا و ذلك بفضل منشورات البابا ليون الثالث عشر[5] Léon XIII[6] عام 1879م و المتعلقة بتجديد دراسة المسيحية, لتظهر بعد ذلك العديد من المدارس

[1] حول اليسوعيين انظر الملاحظة 64 .
[2] حول البينيدكتيين انظر 65.
[3] حول مدرسة القوانين انظر الملاحظة 68.
[4] حول النظام القديم انظر الملاحظة 69.
[5] البابا ليون الثالث عشر تولى البابوية بين (1878م -1903م).
[6] أنظر المحور السابق من هذا البحث.

التاريخية و يلي ذلك وضع النظام الحديث للجامعات والمعاهد البحثية كمعهد لي مونومينتا جيرماناي les Monumenta Germaniae في ألمانيا , ثم ليظهر التخصص في دراسة العصور الوسطى و الذي أثمر معرفة كبيرة عن هذة الفترة من التاريخ الأوروبي. و بفضل هذه المؤسسات العلمية ترسخت و تعمقت دراسة العصور الوسطى, و كما يقول آلان بورو فليس من المصادفة أن يوجد في اللغة الفرنسية مصطلحات moyenâgeux مويان آجو بمعنى (يعود أو يأتي من العصور الوسطى) للدلالة على أسطورة مظلمة و ميديفست بمعنى médiéviste المتخصص في العصور الوسطى فكلاهما قد ظهرت في التاريخ المعاصر 1865 و1867م. و لكن ظهورهما على هذا الشكل يعني وضوح فكرتيهما و تميزهما عن بعضهما و بترجمة هذا المصطلح "لو موين آج" حرفيا إلى العربية نحصل على معنى يقول أننا نتحدث عن حقبة وسط بين حقبتين أخريين و هو ما تتضمنه المفردات العربية : الوسطى , الوسيط , المتوسطة ... إلخ إلا أن البعض قد يستخدمها كمرادف لمرحلة ناقصة في أداء الأمم الأوروبية تاريخيا, و كما رأينا فإن هذا فكرة التقسيم التاريخي قد سبقت ظهور هذا المصطلح بعدة قرون و على الرغم من ظهور فكرة التحقيب و تقسيم التاريخ إلى فترات و ملاحظة بعض المفكرين تميز الفترات و إختلاف انماط الحياة التي سادت أوروبا , و على الرغم من ظهور مصطلح عصر النهضة أو المولد الجديد و الذي يشير إلى نهاية حقبة و بداية أخرى أو على الأقل إلى حدوث تغيرات تاريخية تميز ما مضى عما هو آت, إلا انه كان لزاما على المؤرخين إنتظار منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ليصبح مصطلح العصور الوسطى متفق عليه , يقول المؤرخ الفرنسي روبير فوسييه :

« L'expression « Moyen Âge » aurait apparu en Occident au milieu du XIXe siècle de l'ère chrétienne."[1] و معنى هذه الفقرة : (بالإمكان تحديد ظهور تعبير العصور الوسطى في الغرب بمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي) و هو ما حدده آلان بورو في الفقرة السابقة ب 1865م. وعلى الرغم من تبلور هذا المصطلح و فكرته و مولده كان في أوروبا فإنه من الصعب حصره في دلالته على التاريخ الأوروبي, حيث يرى آلان بورو عدم امكانية الحديث عن عصور وسطى يابانية أو صينية أو عربية او إسلامية[2], و لكن بكل بداهة نتحدث عن عصور وسطى غربية :

« Dans un sens strict, le Moyen Âge n'a de pertinence qu'en Europe occidentale »[3]. Donc nous ne parlons pas de « Moyen Âge » chinois ou japonais ou arabe ou islamique, mais en toute évidence nous parlons de « Moyen Âge occidental »[4]. وبترجمة هذه الفقرة يقول بورو : (ففي إطار ضيق ليس للعصور الوسطى دلالة منطقية سوى في أوروبا الغربية... إذا لا يمكننا ان نتحدث عن عصور وسطى صينية أو يابانية أو عربية أو إسلامية ,

[1] FOSSIER R., L'Occident médiéval Ve-XIIIe siècle, Paris, Hachette, 1995-2001, p. 7.
[2] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950-953
[3] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950-953
[4] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950-953

لكننا بكل منطقية نتحدث عن عصور وسطى غربية) و نحن بدورنا نذكر أن هذا التقسيم التاريخي لا غرض له إلا تسهيل البحث و المنهجية كما أسلفنا في بداية هذا البحث , فكل حقبة تاريخية تشير إلى فترة زمنية من عمر البشرية و لا يعبر عن ذات مميزة و بالتالي يمكن أن نتحدث عن عصور وسطى لكل أمة من الأمم و بالتالي فإن مصطلح العصور الوسطى هو مسمى يمكن أن نطلقه على تاريخ كل الأمم , بمعنى أن هناك تاريخ عصور وسطى يابانية و صينية و كذلك أوروبية, إلا أننا لا ننكر أن شهرة المصطلح و في معظم الأوقات تشير إلى جزء من التاريخ الأوروبي و ذلك لا لشيء إلا لتكاسلنا عن الاستعمال و ترك الساحة لبعض المؤرخين الذين يحاولون احتكار حتى المسميات , و على الرغم من كون مرجعيات التحقيب خاصة بكل أمة إلا ان بالإمكان الأخذ بأشهر الحوادث كأساس لهذا التحقيب. و في هذا الإطار نشير إلى أحد الكتب التي تستعمل هذا المصطلح للتدليل على فترة من عمر البشرية و هو من إعداد مجموعة من الأساتذة الكبار و يحتوي مجموعة من الأبحاث المهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين من عمره و هو من تحرير الدكتور حاتم عبدالرحمن الطحاوي . يحمل هذا الكتاب عنوان : دراسات في تاريخ العصور الوسطى . و يتناول موضوعات كثيرة , خلال حقبة التاريخ الوسيط , في تاريخ العالم الاسلامي شرقا و غربا و كذلك في تاريخ أوروبا[1].

أما فيما يخص ظهور هذا المصطلح في الكتابات التاريخية العربية فيمكن القول ان مصطلح "العصور الوسطى" لم يتأخر عن ظهوره في أوروبا حيث أن بالإمكان الحديث عن ظهوره في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة في حدود النصف الثاني من القرن التاسع عشر و ذلك على شكل ,,العصور الوسطى,, أو ,,القرون الوسطى,, أو ,,العصور المتوسطة,, و كذلك ,,العصور الوسيطة,, , حيث نجد ظهور مجموعة من المؤرخين الذين وجهوا إهتمامهم نحو دراسة أوروبا و تاريخها خلال العصور الوسطى ويبدو أن هذا المصطلح قد ظهر بفضل الترجمة لبعض الأعمال من اللغات الأوروبية . و يمكن القول أن ظهوره في هذه الفترة وبتلك السرعة مقارنة بظهوره في أوروبا يشير الى ان الادب التاريخي العربي الحديث و المعاصر لم يكن في معزل عما يدور من حركة علمية في الثقافات الأخرى ليس الأوروبية فحسب بل كل الشعوب و الثقافات الاخرى . فلو وقفنا قليلا حول الإنتاج التاريخي العربي بين 1850م و 1900م*, سنلاحظ ظهور العديد من الأعمال المؤلفة و

---

[1] دراسات في تاريخ العصور الوسطى , مجموعة أبحاث , تحرير د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي , الطبعة الأولى , 2003 , عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية , ص 345.

[2] جورج حداد, مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي خلال المائة سنة الأخيرة , منشور ضمن مجموعة أبحاث مقتبسة من مجلة الأبحاث, العدد الأول و الثاني, تحت عنوان : ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي و غيره , اشراف الهيئة العربية في الجامعة الأمريكية , 1959, ص 1 -24.

أنظر أيضا :

المترجمة الى العربية والتي تتناول تاريخ الأمم الأخري غير العربية , سواء التاريخ السياسي أو الإجتماعي أو الحضاري بالإضافة إلى بعض السير و التراجم[1] و سنجد أنه و خلال هذه الفترة نفسها 1850 -1900 م ظهر الكثير من الأعمال المخصصة للتارخ الأوروبي في مختلف الفترات و منها فترة العصور الوسطى , حيث يالإمكان ملاحظة ظهور ما يقرب من ثلاثة كتب تحتوي في عناوينها على مصطلح العصور الوسطى أو ما يدل على هذا المعنى , وهذه الكتب هي كالتالي : الأول للبطريرك أفرم الريحاني 1294 –1877م مؤلف كتاب ,, مختصر تواريخ القرون المتوسطة,,[2] ما الكتاب الثاني فهو عبارة عن ترجمة قام بها مصطفى الزرابي لأحد الكتب في مجلدين , و هذه الترجمة تحت عنوان ,, قرة النفوس و العيون بسير ما توسط من القرون,,[3] ما الكتاب الثالث و الأخير فهو ترجمة أيضا لكتاب ميكافل , الذي يحمل عنوان " Le Prince " حيث ظهر هذا الكتاب في اللغة العربية تحت عنوان ,,الأمير, تاريخ الإمارات الغربية في القرون الوسطى,,[4] و لا ننسى أن نشير إلى ظهور كتب أخرى كهذا الذي يخصصه خليفة محمود المصري لشارلمان[5].

أما فيما يخص دلالة هذا المصطلح في الكتابة التاريخية العربية, فإننا و رغم تعسرالاطلاع على ما أشير إليه من كتب نقول و بناء على المعطيات في الوقت الراهن و كذلك بناء على واقع البحث التاريخي في الجامعات و مراكز البحث العربية بل وإعتمادا على ما نستعمله اليوم في الغالب في دراساتنا من مصطلحات فيمكن القول أن هذا المصطلح منذ ظهوره في الأدب التاريخي العربي فإنه يحمل تلك الدلالة الدقيقة خصوصا فيما يخص الجانب الزمني أو التاريخي و نعني بالقول إننا حين نتحدث عن العصور الوسطى – في الأدب التاريخي العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر – فإننا نشير الى فضاء زمني محدد و هو الفترة الزمنية الممتدة بين التاريخ القديم و التاريخ الحديث , و لكن هذه الدلالة قد لا تكون بالضرورة بنفس الدقة التي نراها اليوم و لكنها بالتأكيد فترة محصورة و قد لا تبتعد كثيرا عن حدود القرنين الخامس و الخامس عشر الميلاديين أو على الأقل فإننا نشير إلى مرحلة مميزة عن التاريخ القديم و كذلك عن ا لتاريخ الحديث أما فيما يخص الدلالة الجغرافية فإن المصطلح – منذ ظهوره في الكتابة العربية و نظرا لكونه جاء من الأعمال المترجمة من اللغات الغربية – يشير كذلك و لو بشكل ضمني إلى فضاء جغرافي و الذي هو أوروبا , و هذا ما تعارف عليه المؤرخون إلا أننا نعود لنذكر بشيئين الأول أن من المنطقي الفهم أن هذا التعبير لا

AL HADDAD Mohamed, L'Occident chrétien médiéval vu par les historiens arabes d'hier et d' aujourd'hui, - Thèse de doctorat nouveau régime, UNIVERSITÉ PARIS I – PANTHÉON – SORBONNE, Présentée et soutenue publiquement le 25 janvier 2007, pp. 388-403.

[1] جورج حداد, مصدر سابق, ص 1 -24.

[2] جورج حداد, نفس المصدر.

[3] جورج حداد, نفس المصدر.

[4] جورج حداد, مصدر سابق, ص 1 -24.

[5] جورج حداد, نفس المصدر.

يمكن أن يقتصر على أوروبا فهو لا يدل على ذات و بالتالي يمكن الحديث عن عصور وسطى لكل أمة و عن عصور وسطى في التاريخ البشري كما هو الحال في أحد الكتب المشار إليها سابقا. ثانيهما أننا نستعمل ببداهة تامة مصطلح تاريخ اليمن الوسيط و تاريخ الجزائر الوسيط و غير ذلك إلا اننا في كثير من الأحيان نتحدث عن تاريخ اليمن في صدر الإسلام أو تاريخ الجزائر الإسلامي للحديث عن الفترة المتزامنة مع التاريخ الوسيط. غير أن إمكانية أخذ المصطلح كمرادف لانحطاط حال أمة بعينها يمكن أن يجعلنا نتفق مع آلان بورو في أن التاريخ الإسلامي لا يحمل شيئا و سيطا كونه يمثل مرحلة من الإزدهار في كل الميادين. غير أن ما تعيشه الأمتان العربية و الإسلامية اليوم لا يمكن ان يكون تاريخا حديثا أو معاصرا و إنما تاريخا و سيطا بإمتياز.

❖ – **خلاصة البحث :** و يمكن أن نلخص البحث في النقاط التالية :

أولا : إن الآراء قد تعددت في موضوع التحقيب التاريخي. فكل فريق له مبرراته و مرجعياته التي تتناسب في كثير من الأحيان مع تاريخه و تعد جزءا من هويته. كما أن إختلاف المؤرخين و إتفاقهم يكون –متعلقا في كثير من الأحيان – بالأحداث و المرجعيات التي يعتمدون عليها في هذا التقسيم التاريخي و ليس متعلقا بعدد الفترات المراد وضعها , و إننا كمؤرخين لا نرى ضيرا في ان نأخذ بكل الأراء مجتمعة لنفهم فلسفة التحليل التاريخي و نعطي كل حدث من عمر البشرية ما يستحقه. فكل حدث و كل جانب من الحضارة يحمل من الأهمية ما لا يحمله غيره. كما أن التقسيم أو التحقيب لا يتعد ان يكون نظريات تهدف إلى تسهيل التخصص في مرحلة او مسار دون غيره و ليس إلى فصل الأحداث التاريخية. فالتاريخ في مساره يشبه النهر الجاري المتواصل , فلولا هذا التقسيم لصعب على المؤرخ الإلمام التام بتاريخ البشرية و أحداثه و فهمها و تحليلها كما هو حاصل اليوم بفضل الاقسام و التخصصات الدقيقة في علم و فن التاريخ الجليل.

ثانيا : و كما تعددت الآراء في موضوع التحقيب فقد كثرت فيما يخص تعريف و تحديد العصور الوسطى , فكل مؤرخ أو كل فريق من المؤرخين يرى في الأحداث ما لا يراه غيره من الأهمية , وبالتالي فرأي كل فريق بالإعتماد على حدث أو أحداث للبدء في التأريخ لمرحلة جديدة و مميزة عما قبلها و عما بعدها هو شئ مبرر في نظره , لكن هذا الاختلاف يغني التحليل التاريخي و لا يعيبه.

ثالثا : مما لا شك فيه أن ظهور فكرة التقسيم التاريخي قد سبقت ظهور المصطلحات التي تشير إلى الحقب المعينة المتفق عليها بين المؤرخين و المؤسسات التعليمية و منها حقبة العصور الوسطى. و كما جاء في مقال المؤرخ آلان بورو فإن فكرة التحقيب أو التقسيم قد بدأت بشكل بسيط جدا و تطورت خلال قرون حتي ظهرت المؤلفات الخاصة بهذه الحقبة و اصبحت حقبة معروفة و محددة من قبل المؤسسات العلمية. و قد بدأت بوادر التقسيم التاريخي البسيطة منذ القرن الثالث عشر الميلادي –مستمدة من رؤى تعود إلى القرن الثامن الميلادي – و ذلك إعتمادا على التاريخ الديني. علما أن هذه البدايات لم تكن تحمل فكرة التحقيب بقدر ما

كانت تحتوي عل فكرة فهم الحاضر و مقارنته بالماضي وإعتبار الحاضر فرصة للعودة إلى ذلك الماضي المثالي المرتبط بالقرب من الدين, حيث ظهرت خلال القرن الثالث عشر الميلادي بعض الجماعات الفرانسيكانية التي اخذت على عاتقها ميراث القديس بونافنتيو Bonaventure و الذي يحمل فكرة تقسيم تاريخ العالم إلى فترات تحمل معان في إطار التاريخ المسيحي , فالزمن الحاضر كان ينظر إليه أصلا كفرصة ممكنة للعودة السعيدة إلى الكمال و بالتالي فإن المسيرة التاريخية شبيهة بمراحل الصعود و الهبوط أو القرب و البعد عن الدين و الكمال الروحي.

رابعا : إن مصطلح العصور الوسطى قد ظهر في أوروبا قبل أن يظهر في الادب التاريخي العربي , و مما لا شك فيه أن فكرة التحقيب قد سبقت فكرة ظهور مصطلح العصور الوسطى, حيث ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي كأول من إستعمل هذا المصطلح عام 1469م و في نفس الوقت هناك من يرى أن فلافيو بوندي دو فورلي قد إستعمله عام 1450م , و كلاهما كان سكرتيرا كنسيا في روما, لكن ذلك لم يكن سوى البداية لظهور فكرة العصور الوسطى كفترة متميزة عن التاريخ القديم و بدايات المولد الجديد لأوروبا.

خامسا : من الطبيعي القول أن موضوع التحقيب التاريخي لم يكن هم العامة بل أنه من الملاحظ أن ما حدث من تطور لفكرة التحقيب و لمصطلح العصور الوسطى كان في بداية الأمر في إطار الكنيسة كونها كانت المسيطرة و المكان الوحيد للعلوم , لتظهر الرغبة لدى بعض الفنانين و الرسامين لفهم تطور نمط الحياة للمجتمع الاوروبي و تفسيره. ففي القرن السادس عشر الميلادي ظهرت مجموعة من الفنانين و الرسامين و منهم فساري 1550م , الذين أخذوا في وصف حقبة العصور الوسطى كمرحلة ركود و بالتالي بدؤا يتحدثون عما يسمى ب rinas-cita (ريناس - سيتا) مرادف عصر النهضة أو المولد الجديد و الذي يحمل فكر الخروج من مرحلة و الدخول في أخرى واصفا المسيرة التاريخية حينها بالعودة إلى جمال العصور القديمة اليونانية و اللاتينية . كما ظهر في نفس الفترة تقسيما آخر مرتبطا بالتاريخ البروتستاني و هو مؤلف التاريخ الكنسي Histoire ecclésiatique والمنشور في Bâle بين 1559 و 1574م. ومن الأشياء الجديدة التي جاء بها هذا العمل هو تقسيم مادة التاريخ المسيحي إلى مئات من السنين (قرون) "centuries " وهو تقسيم لم يكن معروفاً من قبل. تسرد الأخبار حتى حوالي عام 1300 فقط ، ولكنها تعتمد على تقسيم التاريخ الكنسي القديم مثالثة tripartition (أي أن أزمنة المسيحية مقسمة بين) : " التاريخ الكنسي القديم Antiquité de l'Eglise , حتى نهاية القرن 7م ، و تاريخ متوسط âge intermédiaire أو Intermedia aetas، مستمراً من القرن 8 إلى 1517م ثم فترة معاصرة " غير محددة.

سادسا : إن النواة الحقيقية للتقسيم التاريخي تعود إلي القرنين 17م و 18م و ذلك على هامش المسيرة التاريخية العامة والتي تركزت حول سؤال النظام الإقطاعي أو حول الأصل الغالي أو الجرماني للأمة الفرنسية, حيث بدأت في إعطاء النواه لتقسيم تاريخي مبني على الترتيب الزمني ديكوباج كرونولوجيك

decoupage chronologique , أما التطور الحقيقي للتحقيب التاريخي فقد جاء متأخرا , حيث أن هذا التطور يتمثل في الظهور الحقيقي للتواريخ الأولى الخاصة بالعصور الوسطى و التي ظهرت في نهاية القرن 17م و ما يميزها هو كونها أخذت في بمتابعة أسرار النهضة الدينية والثقافية ؛ وهي حالة المجلد الثاني من التاريخ العالمي للوثرية لكريستوف كيلر Histoire du luthérien de Christophe Keler universelle, الذي ظهر عام 1688م . حيث أن التقسيم التاريخي الذي ظهر فيه إلى فترات يطابق تماماً ما يسمى اليوم ميديفيسم Médiévisme و يعني التخصص في دراسة العصور الوسطى ومع بداية القرن 18 م ظهر الاهتمام بدراسة الإقطاع و كذلك الإهتمام بالكثير من النصوص التي جاءت من العصور الوسطى, حيث شكل القرنان السابع عشر و الثامن عشر التطور الحقيقي في موضوع التحقيب التاريخي.

سابعا : في القرن التاسع عشر بدأ الحديث عن تميز العصور الوسطى خصوصا مع إخضاع القرون الماضية للدراسة ولما يتقبله العقل و القوانين. و قد تمثلت القاعدة المؤسسية و القوية لدراسات العصور الوسطى مع الإنطلاقة الحقيقة لمدرسة القوانين في فرنسا école des chartes في 1829م التي تأسست في عهد لويس الرابع عشر و التي كانت مهمتها هي ارشفة المؤلفات و تسهيل دراستها للباحثين و كذلك تخريج متخصصين في دراسة العصور الوسطى.

ثامنا : مع نهاية القرن التاسع عشرو بداية العشرين ظهرت أولى المدارس التاريخية و كذلك ظهر النظام الحديث للجامعات والمعاهد البحثية كمعهد ليمونيمونتا جيرمانيا les Monumenta Germania في ألمانيا و هو معهد ابحاث متخصص في دراسة العصور الوسطى, كل ذلك ساعد في إنتاج معرفة عميقة في دراسة الأحداث التاريخية و منها فترة العصور الوسطى.

تاسعا : يمكن التأريخ لظهور مصطلح "العصور الوسطى" بالمعني المتعارف عليه اليوم في اوروبا بمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي و بالتحديد 1865م 1868م.

عاشرا : لم يتأخر كثيرا هذا المصطلح في الظهور في الأدب التاريخي العربي حيث يمكن أن نؤرخ له كذلك بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادى مشيرا إلى حقبة من التاريخ الأوروبي و ذلك نظرا لتأثره بالترجمات التى حملت المصطلح بمعناه التاريخي و الجغرافي من الكتابات الأوروبية إلى الكتابة العربية, و يمكن تفسير ظهوره في الكتابة التاريخية العربية بأن المؤرخين العرب لم يكونوا في معزل عما يدور من حركة علمية في أوروبا في العصر الحديث.

إحدى عشر : على الرغم من التقدم الايجابي في النظر للعصور الوسطى في أوروبا و الذي ساد القرنين التاسع عشر و العشرين الميلاديين إلا ان إتجاها معاكسا ظهر في المؤسسات التعليمية الامريكية يهدف إلى الخلط بين العصور الوسطى و ظلاميتها و بين سطوة الكنيسة و فسادها و بالتالي التقليل من أهلية هذه الفترة.

اثنى عشر : أن هذا المسمى كغيره من المصطلحات يمكن أن يطلق على تاريخ كل الأمم و لا يمكن حصره على أمة بعينها و من البديهي الحديث عن تاريخ اليمن الوسيط و تاريخ المغرب في العصور الوسطى و تاريخ الصين في العصور الوسطى و كذلك تاريخ اليابان الوسيط و هكذا. وفي هذا الإطار نشير إلى أن المؤسسات التعليمية تستخدم هذا المصطلح للتعبير عن جزء من تاريخ الامم و الشعوب المختلفة فوزارة التربية و التعليم اليمنية (الجمهورية العربية اليمنية قبل الوحدة 1990 : الشطر الشمالي سابقا) و حتي عام 1990 كانت تدرس كتابا تحت مسمى تاريخ اليمن الوسيط لطلاب السنة السادسة من المرحلة الابتدائية, يحتوي على تاريخ الدويلات التي ظهر في اليمن كالدولة الزيادية و اليعفرية و الأيوبية والزراعية و الرسولية و الطاهرية, الخ.

ثلاثة عشر : . إن إمكانية أخذ مصطلح "العصور الوسطى" كمرادف لانحطاط حال أمة بعينها و هو ما يمكن أن نفهمه من بعض المنظرين لحال أوروبا و من خلال ما أطلقه هؤلاء من مصطلحات كعصر النهضة وعصر المولد الجديد على مرحلة ما بعد العصور الوسطى فيمكن أن يجعلنا ذلك نتفق مع المؤرخ الفرنسي آلان بورو في أن التاريخ الإسلامي لا يحمل شيئا و سيطا خلال تلك القرون, و نعني بذلك أن التاريخ الإسلامي يمثل مرحلة من الإزدهار في كل الميادين في نفس فترة الموت السريري لأوروبا, و بالتالي فإن ما تعيشه الأمتان العربية و الإسلامية اليوم لا يمكن أن يكون تاريخا حديثا أو معاصرا و إنما تاريخا و سيطا بإمتياز. و عليه وبما أن اللغة ليست سوى رموز متفق عليها فإنه بالإمكان أن نقسم تاريخ الأمة العربية و الإسلامية إلى : تاريخ قديم يشير إلى ما قبل البعثة و الدولة الإسلامية ثم تاريخ حديث أو معاصر أو ما شاء المؤرخون أن يسموه كمرادف لتاريخ صدر الإسلام و حتى سقوط الامبراطورية العثمانية و أخيرا تاريخ العصور الوسطى و هو ما تعيشه الأمة اليوم ابتداءً من مرحلة الإستعمار.

قائمة المصادر و المراجع

أولا المصادر و المراجع العربية :

المصادر :

1 -إبن الأثير ابو الحسن علي (ت 630 ه /232م) الكامل في التاريخ, بيروت, دار بيروت للطباعة و النشر, 1982, (12 مجلد).

2 -إبن خلدون ولي الدين عبدالرحمن (ت 808 ه/1406م), العبر و ديون المبتدأ و الخبر, بيروت, دار الكتاب اللبناني, 1982 (14 مجلد).

3 -القلقشندي ابو العباس أحمد (ت 821 ه / 1418م), صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, القاهرة, المطبعة العامرية, 1913, (14 مجلد)

المراجع:

4 -أباظة(فاروق عثمان)، دراسات في تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1995.

5 -أحمد هيكل: دراسات أدبية، دار المعارف، القاهرة, 1980.

6 -أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة 1955.

7 - جورج حداد, مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي خلال المائة سنة الأخيرة , منشور ضمن مجموعة أبحاث مقتبسة من مجلة الأبحاث, العدد الأول و الثاني, تحت عنوان : ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي و غيره , اشراف الهيئة العربية في الجامعة الأمريكية , 1959.

8 - دراسات في تاريخ العصور الوسطى , مجموعة أبحاث , تحرير د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي , الطبعة الأولى , 2003 , عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية , 345ص.

9 - سعيد عبدالفتاح عاشور , أوروبا العصورالوسطى , مكتبة الأنجلومصرية , 1986, 3 اجزاء.

10 - محمد عباسة, العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة, مجلة العلوم الإنسانية, العدد 14, سنة 2007,جامعة منتوري , قسنطينة, الجزائر.

11 - معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , أ. د. أبراهيم خميس ابراهيم , أ. د. حسن عبدالوهاب حسين , د. سهير ابراهيم نعينع , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , 2003, 373 ص.

ثانيا المراجع الاجنبية :

1- AL HADDAD Mohamed, L'Occident chrétien médiéval vu par les historiens arabes d'hier et d' aujourd'hui, Thèse de doctorat nouveau régime, UNIVERSITÉ PARIS I – PANTHÉON – SORBONNE, Présentée et soutenue publiquement le 25 janvier 2007, 466 pp

2- Dictionnaire du Moyen Âge, sous la direction de GAUVARD Cl., DE LIBERA A. et -
ZINK M., Paris, Quadrige, PUF, 2002, 1548 p

3-FOSSIER R., Le Moyen Âge, Paris, Armand Colin, 1982-1983, 3 vols

4- Encyclopédie Encarta 2002-"Moyen Age"

5- GATTO L., Viaggio interno al conentto di Medioevo, Rome, Bulzoni, 1992

6- H.- R. Gibb: Literature, in The Legacy of Islam, Oxford University Press 1965

7-H. ST. L. B. MOSS, THE BIRTH OF THE MIDDLE AGES

مترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان: ميلاد العصور الوسطى , ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد , مراجعة د. السيد الباز العريني , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1998.

8- LE GOFF J., La civilisation de l'Occident médiéval, Paris, Arthaud, 1977, 704 p. (première édition 1964).

9- KAHL H.-D., Was bedeutet: "Mittelater" ?, 1989, Serculum, n° 40, 1989

10- MITRI Elias, Dictionnaire moderne, français-arabe, Dar al-Jil, Beyrouth, 868 p

11- S.- M. Imamuddine: Some Aspects of Socio – Economic and Cultural History of Muslim Spain, Leiden 1965

12- VOSS J. , Das Mittelater in histrischen Denken Frankreichs, Munich, Fink, 1972

كذلك تمت الإستفادة من العديد من المواقع على الإنترنت منها :

1- www.alwaraq.net/e404.htm الوراق.نت

2- www.wikipedia.org فيكيبيديا.اورج

جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY